

حول مائدة المعرفة

إشراف

عباس محمود العقاد
عثمان نوري
تروت أباظه

تفسير وتقریب للكتب مأثورة وأفكار فائدة

٤

النساء في الأدب

- دي سيقيني : رسائل مدام دي سيقيني
- شارلوت برونتي : جين إير
- ستراشي : الملكة فيكتوريا
- إيسن : هيدا جابلر
- ميل : السيادة على النساء

ترجمة

جلال مظهر

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ثروت أباطة

القاهرة

تفسير وتقريب لكتب مأثورة وأفكار خالدة

كتبنا
(إهداء)

رقم التسجيل ٨ ٧ ٩

حول مائدة المعرفة

٤

بإشراف

عباس محمود العقاد
عشاقان نوي
ثروت أباطة

نشر هذا الكتاب بالاشتراك

مع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر

القاهرة - نيويورك

نوفمبر سنة ١٩٦١

النساء في الأدب

ترجمة

جلال مطهر

تقديم وتعليق

الأستاذ عباس محمود العقاد

مكتبة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد (مما قبل التحرير سابقاً)

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of "INVITATION TO LEARNING", Volume 1, Number 3, edited by George Crothers. Copyright by the Columbia Broadcasting System. Published by Herbert Muschel, New York.

محتويات الكتاب

صفحة	
٧	تقديم الأستاذ عباس محمود العقاد
١١	((رسائل مدام دي سيثيني)) لدى سيثيني
١٣	دي سيثيني
١٥	تعريف بالكتاب بقلم الأستاذ العقاد
٢١	الحوار
٣٧	« جين اير » لشارلوت برونتي
٣٩	شارلوت برونتي
٤١	تعريف بالكتاب بقلم الأستاذ العقاد
٤٩	الحوار
٦٥	« الملكة فيكتوريا » لجيلس ليتون ستراشي
٦٧	جيلس ليتون ستراشي
٦٩	تعريف بالكتاب بقلم الأستاذ العقاد
٧٥	الحوار
٩١	((هيدا جابر)) لهنريك ابسن
٩٣	هنريك ابسن
٩٥	تعريف بالكتاب بقلم الأستاذ العقاد
١٠١	الحوار
١١٩	((السيادة على النساء)) لجون ستيوارت مل
١٢١	جون ستيوارت مل
١٢٣	تعريف بالكتاب بقلم الأستاذ العقاد
١٢٩	الحوار

تقديم

للمرأة في هذه المجموعة حصة الأسد ، لأنها تشتمل على رسائل
مدام سيفيني ، وقصة شارلوت برونتي ، وسيرة الملكة فكتوريا ،
وشخصية هيدا جابلر أشهر بطلات الكاتب النرويجي هنريك إبسن الذي
تخصص في مسرحياته لدراسة الشخصيات النسوية ، وختامها بحث في
كتاب الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت مل عن حقوق النساء
في القانون وفي الدستور .

واختصاص المرأة بالقسط الأوفر في موضوعات هذه المجموعة
لا يمنع أن تكون على المؤلف منها منوعة متعددة الجوانب بأكثر من معنى
واحد ، لأن تعدد جوانبها قد يتناول الكتاب ومواطنهم كما يتناول الكتب
وموضوعاتها .

ففيها تعليق على أدب الرسالة ، وتعليق على أدب القصة ، وتعليق
على أدب المسرحية ، وفيها عدا ذلك المام بالسيرة التاريخية والمام بمباحث
الاجتماع وحقوق الانسان .

ومن مؤلفيها كاتبة فرنسية ، وأديبة ارلندية ، وروائي نرويجي ،
ومؤرخ وفيلسوف انجليزيان .

وأهم خصائص المجموعة - كما عرف في عنوان مكتبة الجدد أن
مؤلفاتها ثبتت لامتحان جيلين على الأقل أو عدة أجيال، يقرأها الجدد ثم الأبن
والحفيد ، وقد يكون مؤلفها من أبناء عصر قديم ولكنه من أبناء الفكر
الانساني الخالد الذي لا يحده بلد ولا زمن ، وصبغته الانسانية - من
ثم - أبقى له والصق به من صبغة موطنه وعصره .

وكل هذه المؤلفات متداول في العصر الحاضر بين قراء اللغات الأوروبية
على درجات متفاوتة من التداول ، وعلى اختلاف في الذوق والتقدير

حسب اختلاف القراء ، ولكنها كلها من الآثار الأدبية التي كتب لها أن تتخطى امتحان الجيل الواحد وتكتسب لها حقا في تاريخ الأدب أثبت من حق الزى الطارىء والعرف الموقوت .

ان قراءة الرسائل بقلم مدام دي سيثيني تنقلنا الى العصر الذي تجمعت فيه جراثيم الثورة الفرنسية الكبرى ، وقد نرى الكاتبة النبيلة في جميع رسائلها مستغرقة في نطاق تلك الطبقة الارستقراطية التي ولدت فيها وعاشت بين ابنائها وبناتها ، ولكنها اذا وصفتهم في حجرات القصر ومن وراء المظاهر والتقاليد فانما تصفهم « ذوات بشرية » كسائر أبناء آدم وحواء ، وتصفهم وهم معرضون للسخرية والاشفاق كما تصفهم وهم عاطلون من حلل الأبهة والخيلاء ، وكلهم - وهو عاطل من مظاهره - خليق أن يلتبس على الناظرين اليه وراء ذلك الستار الطارىء الذي تنسجه تقاليد الطبقة وانماط المعيشة المتقلبة بين الامس واليوم .

والفتاة « جين اير » بطلة القصة التي خلقتها شارلوت برونتي هي هي شارلوت برونتي نفسها كما خلقها الله . وما أعجب شارلوت برونتي نفسها من مخلوق انساني في الصميم !

ان القارئ لينسى القصة وشخصها وهو يلتفت من العمل الأدبي الى مؤلفته والى الشخصوس التي احدثت بها في حياتها القصيرة ، وأولاها بالالتفات شخص أبيها وأمها وأخواتها ، وكل من عاش منهن قد نبغ في فنه وقضى في زهرة الشباب ، وزود الدنيا بمثل من أمثلة الكفاح مع الفاقة والسقم والخمول أعجب من أمثلة الخيال .

وتطالعنا في المجموعة سيرة الملكة فكتوريا فنطلع منها على حياة « امرأة انسانية » تخلع عنها التاج لتشارك جميع بنات حواء في حصتهن المقدورة لهن من فضيلة الانوثة وضعفها . وقد كان وزيرها لورد بيكنسفيلد يقول انه أفلح في خدمة هذه الملكة من حيث أخفق زميله ومناظره غلادستون ، لأنه كان يعاملها معاملة امرأة ولا يعاملها كزميلة

ومناظرة معاملة الملكات ذوات التيجان . وجاء « ليتون ستراشي »
« فطبق » هذه القاعدة في صفحات الترجمة كما طبقها بيكنسفيلد في
ديوان الوزارة ، وسمى من أجل ذلك بامام مدرسة التفريغ التي تسلمت
فن التراجم والسير من مدرسة التقديس « والتطويب » . . . لأنها « تفرغ »
التمثال الانساني من حشو التكاليف والمراسم وتبقى له « هيكلًا »
مجردا يدخل به الى ذمة التاريخ كما يدخل الكائن الحي الى حجرة
« التشخيص » او يدخل الجسد الميت الى مائدة التشريح ، وقد تسلبه
بهذا التفريغ بعض زينته التي ينظر اليها الفنان ، ولكنها لا تعطيه فوق
حقه عند الطبيب الخبير ولا عند المسجل الامين .



ويعرف قراءة « أبسن » أنه أشهر المؤلفين المسرحيين « بالبطلات » او
بالشخصيات النسوية ، ومنهن « شخصيات » قد انتقلن من المسرح
الى الحياة ، فأصبح الناس يذكرونهن كأنهن النماذج الحية التي تتلبس
بهذه « الانسانية » او تلك الانسانية بين القريبات والغريبات من نساء
البيوت ، ونساء المجالس المعهودة .

وهيدا جابلر أقوى هذه الشخصيات وأشهرها وأبغضها على الإطلاق . . .
وهي - على هذا - انسانية معهودة تكررت في الدنيا من قبل وتكرر فيها
بعد اليوم كلما تكررت تربتها التي تنبتها ، وهي « انسانية » حقًا في
صورتها التي ينبغي أن تكون عليها ، لأنها تريننا كيف تسلب المرأة
« انسانيتها » اذا استبدلت بجمال التضحية الانثوية رذيلة الانانية
المضللة يغذيها الغرور والصلف وتنميها فتنة الاغراء والغواية ، فلا تقدر
على شيء غير الهلاك والاهلاك ، واهلاك نفسها مع أقرب الناس اليها
وأولاهم بمحبتها .

أما كتاب چون ستيوارت مل عن استرقاق المرأة ، و « السيادة » على
النساء فخلاصته أنه - وهو فيلسوف الديمقراطية - لم يشأ أن ينسى
أن المرأة « انسان » بعد أن وقف حياته وقلمه على تقديس حقوق

الانسان . . . فهو منطقي « مع نفسه لا يزيد على تصحيح قضايا المنطق » كعادته ، حين يطلب للمرأة خلاصا (قانونيا) من ربة الرق ، في عصر يتفق ابناءؤه على تحريم الرقيق بنصوص القوانين والدساتير . وبهذا التنويع تجرى هذه المجموعة على سنة أخواتها السابقات في الدعوة الى المعرفة ، وتتحرى - مثلهن - أن تكون دعوتها الى معرفة واسعة الأفق متعددة المقاييس ، وان ظفر موضوع المرأة منها بحصة الأسد - كما أسلفنا في صدر هذا التقديم .

عباس محمود العقاد

رسائل مدرام دی سیقینی
مدرام دی سیقینی

مدام دي سيثيني

(١٦٢٦ - ١٦٩٦)

كاتبة فرنسية اختلفت بفن كتابة الرسائل ، ولدت في مدينة باريس . تزوجت من « هنري » ماركيز سيثيني الذي قتل في مبارزة سنة ١٦٥١ . أنجبت من زوجها ابنة تدعى فرانسواز مارجريت وابناً يدعى تشارلس . تزوجت الابنة من « فرانسوا ادميهار » الذي احتل مناصب ادارية في جنوبي فرنسا . وقد اتاح هذا الانفصال - للام - فرصة لتبادل اشهر رسائل بين ام وابنتها وهي رسائل اعتبرها النقاد خير ما يمكن أن يصل اليه امرء في هذا الفرع من فروع الادب الفرنسي . وقد سجلت الام في خطاباتهما كل ما عرض لها في حياتها اليومية حتى تفيد منه ابنتها . وهذه الرسائل ذات قيمة كبرى من الوجهة التاريخية الى جانب ما امتازت به من سحر في التعبير .

تعريف بالكتاب

شرت رسائل مدام « سيفيني » بعد وفاتها بنحو ثلاثين سنة ،
وكان نشرها على التتابع مجموعة بعد مجموعة في عدة طبعات ، فلم تكن
مجموعتها الأولى تزيد على نيف وثلاثين رسالة ولم يزل هواتها والمعجبون
بها ينقلونها عن مصادرها المتفرقة حتى بلغت مجموعتها الكاملة أكثر من
ألف وخمسمائة رسالة ، معظمها مكتوب الى بنتها بعد زواجها واقامتها
الطويلة في الريف ، وبعضها مكتوب الى نخبة من العلية المثقفين والمثقفات ،
الأشهرهم النبيل روشفكول صاحب الحكم والكلمات النادرة المعروف .

يقول بريزون وهو يفتتح الحوار التالي أنها رسائل متفرقة ولكنها في
جملتها كتاب من كتب الأدب الواقعي له حظه الوافر من الخيال
والابتكار .

وتصف مس سرجيو كاتبة الرسائل فتذكر بين صفاتها البارزة ثلاث
صفات لا يحتاج الكاتب الممتاز الى مزيد عليها ليرتفع الى القمة في بابها
وهي توقد الذهن وخفة الروح ، وأصالة التفكير .

ويكاد نقاد الأدب الغربي يجمعون على مكانة هذه الأدبية المتطوعة بين
الأدباء المتطوعين والمتفرغين للكتابة ، فهي بغير خلاف كبير بينهم — سيدة
كتاب الرسائل وكاتباتها في عصور الأدب الأوربية الحديثة غير مستثنى
من ذلك لا بروير في فرنسا ولا شستر فيلد في انجلترا ، بل غير مستثنى
منه بلينى الصغير في الأدب اللاتيني القديم .

وهذه منزلة عالية في أدب الرسائل البليغة لم تدركها الكاتبة بغير
مؤهلاتها التي لا غنى عنها ، وينبغي أن نقول أنها استوفت جميع مؤهلاتها

من حياتها الشخصية ، ومن تعليمها الرفيع ، ومن دواعى عصرها فى القرن السابع عشر على التخصيص .

ان شعور الأمومة هو « مصدر الوحي » الصادق فى رسائل مدام سيثينى من مبعثها الأول فى وجدانها ، وشعور الأمومة عاطفة مطبوعة فى نفوس الأمهات جمعاء ولكن هذه الأم قد استفادته من تجارب حياتها كما استفادته من غرائز طبيعتها ، لأنها فقدت أبويها منذ طفولتها المبكرة ، وتزوجت فى شبابها فلم تسعد فى زواجها بغير محبة الأم لبنتها اليتيمة ، لأن زوجها المتلاف لم يلبث أن قتل فى مبارزة عنيفة بعد أن كاد يقضى على ثروتها وثروته ، وكان لها ابن ظريف ولكنه متلاف كأبيه وعالة على أمه ، فاجتمعت شواغل حياتها كلها فى عطفها المفرط على بنتها المفارقة، لمعزتها عندها ولاغترابها عنها ، وسرى هذا العطف المفرط الى الرسالة التى تكتبها لأنها لم تكن كلمات على ورق الرسالة بل كانت « شخصا » حيا بقلبه الخافق وصدره المعانق وحديثه الدافق ، وكانت تتدفق بقوة هذه العاطفة فتغنيها بلاغة « السجية » عن بلاغة التأمل والروية ، وربما صبح وصف الكاتبة لرسائلها حين قالت أنها كانت تترك القلم « يركض وعنانة على عنقه » ولكن أمومتها « المفرطة » هى التى عوضت رسائلها أجمل العوض عن صقل الصناعة وأناقة التهذيب والمراجعة فتبت لها البلاغة التى تناسبها ، واستحقت ببلاغتها هذه أن ترتفع الى الدروة فى هذا الفن الجميل بين كتاب الرسائل وكاتباتها .

ولا يسبقنى الى خاطر أن هذه « الأمومة المفرطة » أستغرقت حياة هذه الحسناء الأدبية فلم تدع لها شعورا بأحد من الناس غير شعورها ببنتها الغائبة عنها كلا ، فان الأرملة الحسناء - كما قالت صديقتها مدام لا فاييت (قد خلقت لمسررات الحياة وخلقت مسررات الحياة لها) وكانت تحب حياتها وتحب شبابها وتشفق من اقتراب الشيخوخة اليها كما يتبين القارئ من بعض رسائلها ، ولكن شعور الأمومة قد كان بالنسبة اليها كانه الحصن الذى اعتصمت بقداسته من دوافع العواطف

وغواياتها فكانت تمرح وتمرح وتعطى الزينة حقها كما تعطى الجمال حقه ، ولكنها عاشت في معترك الفتنة بين قصور الملك وقصور النبلاء من نظرائها ونظيراتها دون أن تحوم حولها شبهة أو تعرف لها علاقة مريبة كأنما كانت عواطفها تتدفق وتضطرب لتنصرف كلها بعد ذلك الى مصرفها الوحيد في رسائلها الى بنتها ، فلا جرم تتمثل في هذه الرسائل كل حياتها وكل ما كانت تهتم به في تلك الحياة . ولم يكن في عصرها شيء لم يشغل اهتمامها المتيقظ شغلان الدهن المتوقد والنظرة الثابتة والدوق الملهب والطبع العطوف .

هذه العاطفة التي استوعبت حياة صاحبها هي ينبوع من ينابيع الأدب « الرسائل » لم يرزقه غيرها من الأمهات والآباء المشهورات أو المشهورين بهذا الفن الجميل . ويوشك أن يكون فيه تفسير كاف لرجحانها عليهم باتفاق النقاد الغربيين . ولكنها كانت قد استعدت لهذا الفن بجميع مؤهلاته كما تقدم ، فلم تكن هذه المؤهلات « الحيوية » أعظم شأنًا في ترجيحها على نظيراتها ونظرائها من مؤهلاتها الأخرى ؛ ومنها مؤهلات الثقافة ومؤهلات العصر ومؤهلات الموضوع .

فقد كانت مدام دي سيفيني تحسن قراءة اللاتينية والإيطالية والاسبانية فضلا عن لغتها الفرنسية التي تعلمتها بالدرس والمحادثة مع أبلغ المتكلمين بها في زمانها ، وكانت تقرأ باللاتينية كوينتليان وتاستيس وأغسطين ، وتقرأ بالإيطالية والاسبانية دواوين شعرائها المبرزين ، وانتفعت بذوقها في المطالعة كما انتفعت بدراستها واتقان لغاتها ، ويفهم من تعليقاتها على مطالعاتها أنها كانت تؤثر البساطة المطبوعة على الفخامة المصطنعة في أدب كل لغة عرفت ، ولهذا كانت تفضل كورنيل على راسين . أما أثر العصر في توجيه ملكتها الأدبية فمرجعه الى نهضة القرن السابع عشر في البلاد الفرنسية على عهد الملك الشمس لويس الرابع عشر . ففي هذا العصر نشأت آداب المحادثة وآداب المراسلة بين العلية

من النبلاء والنبيلات ، وانتشرت الأندية التي يتنافس سيداتها في اجتذاب روادها من أعلام الأدب والفكر وعشاق البلاغة والفصاحة وقام في كل اقليم من أقاليم الريف حول قلاع النبلاء والنبيلات بلاط مهذب ينظر الى بلاط باريس ويقتدى به في مظاهر الجاه والمعرفة . وراح سكان العاصمة وسكان القلاع بالأقاليم يتسابقون الى تجويد صناعة الحديث وصناعة المراسلة والرواية عن الكتاب والمتحدثين ، وربما كانت قراءة الرسالة وقراءة الجواب مادة المحادثة والمناظرة في مجالس الأندية التي اشتهرت باسم الصالونات ، ويرجع الى هذه الفترة شيوع الرسائل التي تكتب - أصلا - لبسط الآراء الفلسفية والتعليقات الاجتماعية على مثال رسائل فولتير ، وقد سبقه اليها نخبة من أئمة الأدباء في القرن السابع عشر ، مع الفارق في التعمق والتفصيل .

ومزية الموضوع سبب آخر من أسباب ترجيح هذه الكاتبة على كتاب الرسائل وكاتباتها في عصرها . فليس كل ما كتب في ذلك العصر من رسائل البلغاء صالحا لترجمة العصر كله كما ترجمته رسائل مدام دي سيغني ، ولو لم تميزها جودة الكتابة بهذه المزية لكانت الكثرة وحدها كافية لترجيحها في تصوير العصر على جميع معاصريها ومعاصراتها . لأنها كتبت ألف رسالة وخمسمائة خلال ثلاثين سنة ، وضمت كل رسالة منها كل ما ترويه المرأة الذكية من ثروة المجتمع واحاديثه بين صفوة أهله علما ودراية ورياسة واطلاعا على حقائق الأحوال العامة في فرنسا وغير فرنسا، وضممتها مع هذه الأخبار العامة تفصيلات شتى عن قصص الأسرة وزوارها ومعارفها وعما يرويه هؤلاء لجلسائهم من شئون البلاد وشئون السادة والأتباع من ابنائها ، فليست الرسائل التي تكتب على هذا النحو بريدا « بيتيا » بين أم وبناتها ، ولكنها كما قال بريزون في فاتحة الحوار « كتاب » محيط بأحوال فرنسا وأحوال العالم المتصلة بها خلال القرن السابع عشر . ولعله العصر الذي نعرف فيه عن بواذر الثورة الفرنسية ودواعيها مالا نعرفه من أحوال عصر آخر ، ونعرف ذلك على غير قصد

للدعوة الى جانب مع الثورة أو عليها ، بل على غير علم من الكاتبة بمصير هذه البوادر الى عواقبها ، فيزيدنا ذلك وثوقا بصدق الرواية وصحة العلاقة بين مقدمات الثورة ونتائجها .

* * *

ويقول بريزون بحق ، ان الكاتبة « انسانية » تهمنا من رسائلها صبغتها الانسانية ولا تهمنا دقتها ، فيجيبه جيرار قائلا اننا نقرأها لهذه الصبغة قبل أن نقرأها لصبغتها التاريخية ، « لأنها تضيء على أخبارها تلك المسحة الانسانية فتجعلنا ندرك تفاصيل الحياة الصغيرة في تلك الايام » ولم يخطئ جيرار حين قال ان الكاتبة كانت لها نظرة فاحصة الى التفاصيل ولكنها « لم تكن تدرك ما يدور حولها من الناحية الاجتماعية » ويصيب بريزون حين يجيبه مستدركا أنها كانت تدرك الطبيعة الانسانية بين أبناء النخبة الممتازة « اذ كانوا على الرغم من كل شيء ذوات بشرية » .

وقد نرى ان وصف الرسائل بالصبغة الانسانية يجيء في موضعه من كلمات لأدباء الحوار ، فانهم أحرى ان يبعدوا عن هذه الأم العطوف مظنة التقصير في فهم الناس على تفاوت طبقاتهم بين أبناء عصرها ، لأنها لم تفهم أولئك « الناس » جميعا كما فهمت أبناء طبقتها ، ويعود هذا التقصير الى انقطاع الصلة قبل أن يعود الى انقطاع العاطفة أو الى قصورها عن تلبية دواعي الانصاف والرحمة ، ولسنا ندري أين يكون عطفها لو أنها عاشت اليوم بعد تلك الثورات الاجتماعية التي تلاحقت من أوائل القرن الثاني عشر الى أيامنا هذه بعد أواسط القرن العشرين ولكنها عاشت في زمن لم تتخذ فيه شكوى المجتمع صبغة الحرب في سبيل الحقوق الانسانية المشتركة بين جميع الطبقات ، فلم تفهم من طبيعة الانسان غير صورتها القريبة اليها ولكنها فهمتها « صورة انسانية » كيفما كانت الحال .

عباس محمود العقاد

الحوار

(١) دانييل جيرارد . (٢) ليزا سيرجيو . ليمنان بريزون

بريزون : أرى أن الفرد يجب أن يكون لديه نوع من الأرق الخاص حتى يقبل على قراءة الرسائل والمذكرات ولكنى أعتزف أن قراءتها تضيف على سرورا غريبا . أن قراءتها تفتننى وتغرينى . أحس عندما أقرأ رسائل أو مذكرات ، أننى أدرك ضربا من الحقيقة لا أدركه حتى عند قراءتى لأعظم الأعمال الأدبية خيالا وابتكارا . وليس هذا الشعور حقيقيا بطبيعة الحال . فأنا على ثقة من أنه يوجد فى كتابات مدام دى سيفينى من الخيال والاختراع مثل ما فى الروايات الفرنسية لكن قراءتها تشعرنى دائما بأننى أقترب الى شخص من الأشخاص ، فاذا تعلق الأمر بشخص كهذا ، كان الأمر جديرا بالقراءة . حسن . أن خطابات مدام دى سيفينى تؤلف كتابا - أو بالأحرى كتب كثيرة .

سيرجيو : أى نعم . أن رسائلها تبنى على ما يوجد فى كتب كثيرة . أن هذه السيدة النابهة التى كنت أقرأ لها كثيرا عندما كنت بالمدرسة - اذ اعتدنا أن نقرأ لها ونحن فى موطننا فلورنسا - إنما تضيف على "سرورا عظيما" ، لأنها فى

(١) Daniel Girard استاذ اللغة الفرنسية بكلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا .

(٢) Lisa Sergio معلقة اذاعية ومحاضرة .

الحقيقة تمثل ذلك النوع من الرواد الذى أحاول أن أكونه . لقد كانت محللة أنباء .

بريزون : محللة أنباء يامس سيرجيو ؟ لم يكن هنالك اذاعة ، ولم يكن هنالك جرائم .

سيرجيو : لم يكن هنالك اذاعة ، ولم يكن هنالك معلقون ولكن أرجو أن توافقنى يا مستر بريزون على أنها كانت تتمتع بصفة ناقد الأحداث ، والمخبر الأمين ، والمعلق على أخبار المجتمع ، ذلك الذى يعلق بأمانة وبغير خسة . هى فى الحقيقة ذلك الطراز من الناس الذى نحاول أن نتفهمه ثم نفسر الأخبار على غرار .

بريزون : لقد كانت تتمتع بمجال أرحب من ذلك الذى يتمتع به ناقد الأخبار فى أيامنا هذه ، لأنها كانت تستطيع أن تكتب ما يحلو لها فى تلك الرسائل التى كانت توجهها الى ابنتها والى أصدقائها . ولكنى أدرك ما تقصدين . ولست أعلم أكانت مخبرة أمينة أم لم تكن كذلك .

جسار : حسن . لقد وصفت فعلا ، يا مستر بريزون ، بعض الأحداث الهامة فى زمانها .

بريزون : بكل دقة يا مستر جسار .

جسار : حسن ، فقد روتها بعض الأحيان كشاهدة عيان . مثال ذلك أنها شهدت محاكمة فوكيه ، الذى فقد سمعته حينئذ ، وأخبرت صديقها أنه كان داخل البلاد ، وأنه لابد سيعود للمحاكمة . ويلوح من قراءة ذلك أنها تمثل طريقة جد دقيقة وإنسانية للأخبار .

بريزون : انها إنسانية حقا وانها لخلابة . ولا افترض أن دقتها ذات شأن كبير ، ذلك بأنك لا تقرأ هذه الرسائل أولا من أجل أن تدرك وقائع التاريخ . أتفعل ؟

جسار : كلا ، فليس الأمر كذلك . انها تضى عليها المسحة
الانسانية ، فتجعلك تدرك تفاصيل الحياة الصغيرة في
تلك الأيام . وانتك لتدرك أيضا ويكل تأكيد ، بعض الأحداث
التي كانت تجرى في فرساي وفي البلاط الملكي ، كأسلوب
النساء في الملبس ، وما شابه ذلك .

بريزون : أى نعم ، فمن رسائلها ذلك الخطاب الرائع الذى تخبر
فيه بتلك الأخبار العظيمة . أن تصفيف الشعر قد
انخفض ، فكان عليها أن تكتب في الحال الى سيدة في
الريف تقول لها « عليك أن تخفضى من ارتفاع تصفيفة
شعرك ، لأن كل سيدة في البلاط قد جعلت شعرها
أقرب ما يكون الى جلدة رأسها » . أمر جد مثير . .

سيرجيو : أى نعم ، ولكنها لم تقتصر على هذا النوع من الأخبار .
بريزون : هل قصرت نفسها على شيء ؟ أكان هنالك موضوع لم
تكتب فيه هذه السيدة ؟

سيرجيو : حسن ، فانتك ان كنت تستطيع أن تسمى الناس
وما يصيبهم من رد فعل نتيجة لأحداث الحياة موضوعا
أو اتجاها نحو موضوع ، فانى أقول ان ذلك كان أهم
ما يشغلها .

بريزون : الناس الذين هم من طبقتهما ، يا مس سرجيو .
سيرجيو : عجباً ! وهذا ما كان يحدث دائما ، وهو أمر يجدر بالمرء
أن يفصح عنه . فقد كان الفارق بين الطبقات شادا جدا
في تلك الأيام .

بريزون : ينبغي علينا أن نعى أن تلك الأيام هى منتصف القرن
السابع عشر ، أى قبل الثورة بمائة سنة - لكن زمجرة
الثورة كانت هنالك دائما ، ألم تكن ؟

سيرجيو : عجبا ! أى نعم . حدث ذلك فى حكم لويس الرابع عشر ، الملك الشمس ، مثل كل الأشياء التى تصل الذروة قبل انحدارها الحتمى ، اختص ذلك العصر بضرب من الأبهة . وكانت تلك الأبهة مقصورة على طبقة مدام دى سيفينى . كانت تفهم الناس حتى عندما تصف تصفيف الشعر . ولعلى أتذكر رسالة – لا أعتقد أنها ترجمت من قبل ، ولكنها تجول بخاطرى – فيها تقول : ؟ ماذا يؤثر فىك تغيير تصفيفة الشعر يا عزيزتى . « ألم تقل لك قط زوجتك يا مسيو جيرار » ينبغي على أن أذهب الى الحلاق ، انى متبرمة بكل شىء ، ولسوف أرتاح كثيرا اذا غيرت تصفيفة شعرى ؟ » .

جيرار : أى نعم يا مس سرجيو ، فهذا حق . لقد كان لمدام دى سيفينى نظرة فاحصة من حيث التفاصيل ، ولكنها كما بينت من قبل ، لم تكن تدرك ما يدور حولها من الناحية الاجتماعية .

بريزون : كلا ، فانك عندما تقول « الناس » فأنت لا تعنى الفلاحين العاملين وانما تعنى الأرستقراطيين .

سيرجيو : أقصد البشر جميعا .

بريزون : النخبة الممتازة من طبقتها . لقد كانوا بالرغم من كل شىء ذوات بشرية أيضا .

جيرار : أى نعم ، وانك لتتذكر الرسالة التى استوصت فيها بحاكم مقاطعة بريتانى لأنه أحمد عصيانا شديدا قام به الفلاحون على الملك . لم تكن تعطف على الفلاحين . بل على الضد من ذلك ، شقوا عصا الطاعة على الملك ، وكان الملك آلهما – وهذا هو القانون .

بريزون : وعلى الرغم من ذلك ، فقد حدث هذا يا مستر جيرار

فى الزمن الذى كتب فىه « لابروير » وهو من طبقتها ،
ذلك الوصف المرعب لىة أولئك الفلاحين - تلك البهائم
اللى هربت من الشمس الى كهوفها فى المساء ، لا تعرف
غير الكدح والسعى ولا تحصل على شىء حتى مما كسبته
أيدىها - أنها لم تكن تدرك ذلك ، ولم يؤثر فىها قط
أمر كهذا ، وهى ليست قاسية بقدر ما فىها من عدم
المبالاة .

سيرجيو : لا أقول هذا دفاعا عن السيدة ، ولكن لأن هذه حقيقة
لا يدركها المرء ادراكا تاما - حتى فى العصر الحديث -
إذا لم يكن المرء ناشئا فى بلاد تسودها الفوارق الاجتماعية .
انها لم تكن تعرف . كان ينقص علمها أن الفلاحين
يكدحون بتلك الطريقة ثم يهربون ، كما أعتقد
الناس طيلة هذا العصر كله ، والى أن حدثت الثورة ، على
ما تقول ، بفكرة غريبة ذات صلة بعقيدتنا فى أن الله خلق
الناس سواسية . كانوا مسيحيين فىهم كل الخير ، ومن
البر الذى تنطوى عليه المسيحية ، قد يأتون بأشياء
عظيمة .

ولكن فكرة أن الرجل الذى ولد ليكون فلاحا ، له نفس
الحق الذى لهما فى أن يستحم - وهو أمر لم يكن فى
مستطاعه قط - أو أن يكون عنده ملابس نظيفة ، فذلك
لم يدخل رأسها قط . لم تكن رذلة أو قاسية ، ولكن
ثبت فى وعيها من مخلفات تلك العصور ، أنه لسبب
لا يعلمه إلا « الله » ، أن « أنا » ، كما كانت تدرك مدام
دى سيفينى ، « قد ولدت حيث يوجد العطر والماء
والغذاء الطيب والخدم ، وولد الآخرون ليعيشوا فى
كهوف ، وليس لأحد أن يناقش إرادة الله » . فإذا

- استطعت أن تدرك هذا المفهوم المفرع للحياة ، اذن لتبينت قيمة رسائلها ولما تأثرت بذلك العجز الكلى عن فهم الأوضاع الاجتماعية ، ذلك الذى يحدثنا عنه مستر جيرار .
- بريزون : اذا تفاضينا يا مس سرجيو بطريقتنا الحديثة المتواضعة عن أنها لم تكن الا وليدة طبقتها ، فأى شىء فى هذه المراه هو حيث تظنين من قوة الفتنة والاغراء ؟
- سرجيو : كانت تتصف بأصالة ذهنية . ان تعليقها على كل شىء تراه ، دقيق ثاقب .
- بريزون : كانت متوقدة الذهن . ألم تكن كذلك ؟
- سرجيو : توقد ذهن وخفة روح هائلة .
- بريزون : كانت ماهرة بعض الأحيان — هذا بالمعنى الفرنسى أكثر مما هو بالمعنى الانجليزى — ولكن بدماثة وبخبت . فهى دائما تسخر بعض الشىء من أرستقراطى الريف ، انهم يغالون بعض الشىء . هى من باريس ، وبالرغم من أنها تحب حياة الريف ، وبالرغم من أن ابنتها التى كتبت لها كثيرا من هذه الرسائل هى زوجة حاكم احدى المقاطعات ، فانها سيدة عظيمة جدا . لم تكن سيدة ذات ثراء خاص ، ولكن كانت دارها فى باريس — وهى متحف الآن — من كبريات الدور . فقد كان يحضر اليها الملك ويتحدث اليها عن تمثيلات راسين . لقد كانت سيدة عظيمة .
- جيرار : اتذكر يا مستر بيزون احدى الرسائل التى كتبتها بعد ان شاهدت النار التى أتت تقريبا على منزل جارها الثرى المواجه لدارها ؟ تقول فى ختام رسالتها انه لو لم تكن مأساة النار عظيمة ، لكانت رؤية هؤلاء الارستقراطيين مضحكة وهم يخرجون بملايس نومهم ، وليس على أبدانهم من الملابس غير القليل .

بريزون : اى نعم ، فقد وصفت هؤلاء الناس وصفا عظيما وهم
بنصف ملابسهم - اولئك الذين يكونون فى العسادة
يشعورهم المستعارة وملابسهم الضيقة وأرديتهم
الحريرية . كانوا مثارا للضحك كما وصفتهم . ان مسحة
الخبث لا تفارقها . ولكن هذا أكثر من خبث وأكثر من
ملاحظة . لقد كانت تتمتع بقوة دراماتيكية عظيمة .
اليس كذلك ؟ قصة الطباخ الذى قتل نفسه لأنه ظن انه
سوف يخفق فى تقديم نوع الغذاء الذى يليق بالملك ؟

سيرجيو : اى نعم ، أرسل رجلا ليحضروا السمك ، ولكن الرجال
الذين ذهبوا لشراء السمك لم يعودوا الا بعد أن قتل
نفسه .

بريزون : كان كبير الطباخين ، ولا يستطيع أن يعيش فى ظل العار .
سيرجيو : وحتى فى هذا الوصف ، فانك تدرك ما ذكرت من قبل ،
ان فى ذلك مسحة خفيفة من السخرية . قتل الطباخ
نفسه . انسان قتل نفسه من أجل سمكة لم
يحصل عليها .

بريزون : هنالك شيء جد غريب يا مس سيرجيو ، هو جزء من تلك
الصفة المغرية الخلافة التى تختص بها مدام دى سيفينى .
ففى نفس الوقت الذى تسخر فيه من الطباخ الذى قتل
نفسه من أجل وجبة طعام ، تدرك انه طباخ وانه أعظم
طباخ فى فرنسا . وكان اخفاقه فى اعداد وجبة طعام أمرا
مخلا بشرف المهنة بالنسبة له . انها تدرك ذلك ، ولكنها
ترى انه أمر مضحك أيضا .

سيرجيو : ذلك هو السبب الذى من أجله تحس بالقيم فيما يتعلق
بالناس . الا ترى انه يظهر فى جميع خطاباتنا احساس
بما هو ذو قيمة وبما هو تافه ؟

جيرار : وقفت ذلك الموقف عينه عند وصفها موت « تارنس »
بقذيفة شطرتة . تصف لك المأساة كما وقعت ، ثم تشفعها
بلمحة من السخرية قائلة : ان رجلا عظيما قضى تحبه .
ومهما يكن من أمر ، فلو لم يمت ، لكان النصر أعظم .

سيرجيو : وبما أننا نتكلم عن النصر ، فهل لى أن أستشهد يا مستر
بريزون بفقرة من إحدى رسائلها تدل أيضا على افتقارها
الى الاحساس الاجتماعى . انها ليست قاسية ، ولكن
ذلك كله كان نموذجا صارخا لعصرها . جاء نصر ما ،
وهى فى ذلك تقول « نعتقد أننا فى الحقيقة حصلنا على
هذا النصر بثمن كبير . كلا ثم كلا . فهو لم يكلفنا غير
بعض الجند ، وليس من بينهم واحد من أصحاب الألقاب .
هذه هى السعادة الكاملة فى الحقيقة » .

بريزون : اذا كنت تستطيع أن تكسب انتصاراتك بقتلك الجند
العاديين فحسب من غير أن تفقد أى من النبلاء ، فذلك
منتهى السعادة . أفى ذلك شىء من الخيث ؟ أكانت تدرك
انها تسخر ؟

سيرجيو : كلا ، انها لم تدرك ذلك .

بريزون : أترى أن ذلك كان طبعها ، أكانت هذه حقيقتها ؟

سيرجيو : بكل تأكيد . لقد ترعرعت فى وسط ، لا تشاهد فيه أناسا
يغير الألقاب .

بريزون : لم نقل شيئا قط عن الصورة الأخرى لشخصيتها ، التى
أفترض أن أناسا لا يمكن أن يكون فى الحقيقة كاتباً
بدونها - وكانت كاتبة كبيرة - ألا وهى العاطفة . لقد
كانت كلفة حتى الجنون بابنتها . فقدت زوجها وهى
لا تزال شابة صغيرة ، وكرست حياتها لطفليها - ثم اليس
من المهم أن نذكر أنها كرسبت حياتها لطفليها ، وأنه لم

يستشم من حولها أى ريح من رياح الفضيحة ، وهى تعيش فى حاشية فاسدة كل الفساد .

سيرجيو

: مطلقا . تصور أن رجلا واحدا أراد أن ينشر من حولها ريح الفضيحة ، فردّه عن ذلك النساء المعاصرات لها وانتصرن لها ، حتى لقد وصم فعلا بالخزى والعار وكن يحترمنها اجتراما كبيرا . هذا ابن عمها ، وكان يتبودد اليها كثير من الرجال على التأكيد ، وكانوا راغبين فى الزواج منها . وكانت تستطيع أن تتزوج أيا منهم . ولكنها كانت تحس بأن عليها مسئولية تربية ابنها وابنتها وتكرس حياتها لهما . وذلك رغم أن زوجها لم يكن رجلا ناجحا على الإطلاق .

: لم يكن ابنها ناجحا كذلك .

بريزون

: أى نعم لسوء الحظ . ولكنها ما كانت لتعرف بآدىء الأمر أنه سوف يكون كذلك ، وهى لم تكن غير أرملة صغيرة فى العشرين من عمرها . لقد جعلت تربية طفلها الغرض الوحيد من حياتها . لقد أحبت ابنتها حب العبادة .

سيرجيو

: ومع ذلك فهناك ذلك الموقف الغريب المعبر الذى ينهرها فيه ذلك القس الذى كانت مغرمة به جدا ، وكان رائدها وصديقها الوفى حين يخبرها أنها تفرط فى حبها وأن عبادة الأشخاص حتى ولو تعلق ذلك بابنتها فانما هو خطيئة كبرى . ماذا تقول عن حب كهذا اليوم ؟ أيدل على الصحة العقلية .

بريزون

: انه لا يبدو صحيحا على الإطلاق فى نظر طبيب نفسانى حديث ، ولكننا نستطيع أن ندرك كيف يتفق أن يكون حب

جيرار

الأمهات مبالغاً فيه ومع ذلك يبدو طبيعياً - أو أن يكون طبيعياً ويبدو مبالغاً فيه .

بريزون : قد أقول يا مستر جيرار أنى سعيد أنه لم يكن هنالك أطباء نفسانيون فى ذلك العصر لمعالجتها ، والا لفقدنا كتاباً من أعظم الكتب العالمية .

سيرجيو : إذن لأرسلوا بها الى أحدهم بكل تأكيد .

بريزون : لاشك فى أنهم كانوا يفعلون ذلك . ولكن كم فى ذلك من الإفراط فى أساليب ذلك العصر ؟ فبالرغم من أنها كانت تتصف بالحدة والقسوة ، فإنها كانت تتصف أيضاً بالقدرة على نوع من العاطفية الهادئة والحساسية الفياضة .

سيرجيو : أنت تعلم يا مستر بريزون أنه لم يكن لها رفيق فى الحياة .
بريزون : كلا ، ولم يكن لها أصدقاء أيضاً .

سيرجيو : لا رفيق حقيقى . أما اذا كان مسيو « دى سيفينى » رفيقاً حسناً لها أم لم يكن ذلك ، فذلك أمر آخر . وقد توفى فى مبارزة ، ثم لم يكن معها فى منزلها أحد تاتنس بالحديث معه كل يوم . انك عندما تستيقظ فى الصباح وتبدأ فى ارتداء ملابسك ، تتكلم مع الشخص الذى تعيش معه عن الأشياء الصغيرة ، أو تطلق العنان لغضب فى نفسك أو لشيء مثير . لم يكن لديها أحد .

بريزون : كم كان ذلك من حسن حظنا .

سيرجيو : كتبت ذلك كله فى رسائل . وهنالك فصل واحد تشرح فيه لصديق - وليس لابنتها - كيف تكتب هذه الرسائل . قالت « أرسل شعورى على سجيته يسطر سطور الرسالة كلها ، واحتفظ بذلك حتى النهاية . أنا لست كاتبة رسائل ، بل أروى ما أعرف وما أرى وما يجول بخاطرى » .

ولكن الحقيقة أن ذلك العصر انما كان العصر الذى كانت فيه كتابة الرسائل جزءا من التعليم كمعرفة الجمع والضرب فى أيامنا هذه . أتعلم أن مهنة سكرتير خاص كانت مريحة جدا ؟ لقد كان الناس يؤجرون سكرتيرا خاصا يكتب لهم رسائلهم ، فاذا ابتزوا كل ما عنده ، استغنوا عنه . ولكنهم كانوا يكتبون جميع الرسائل بما فى ذلك رسائل الحب .

بريزون : وفى ذلك العصر كنت تستطيع حتى شراء كتب عن كيفية كتابة رسائل قيمة .

سيرجيو : نحن نظن أننا فى أمريكا متخصصون فى ذلك النوع من الكتب الذى يصف لك كيف تفعل هذا أو ذاك ، أما فى فرنسا فقد كان هذا النوع من الكتب ، شائعا تماما فى ذلك الزمن ، وكان أكثر الأشياء التى تباع بسرعة فى الأسواق .

جيرار : كان ذلك شائعا فقط بين الطبقة العليا .

بريزون : ان الطبقات الدنيا لم تكن تعرف لا القراءة ولا الكتابة .

جيرار : صحيح هذا .

بريزون : ولكنها لم تكن تعتبر نفسها كاتبة رسائل . وبمعنى آخر لم تكن تكتب رسائلها من أجل الأدب .

سيرجيو : ولكنها لاشك كانت تعرف انها كانت تكتب رسائلها

لتنشر ، فرسائل الناس جميعا كانت تنشر فى تلك الأيام .

جيرار : هل لى أن أعارض ؟ لا أظن ذلك يا مس سيرجيو . ان

رسائلها لم تنشر حتى سنة ١٧١٥ أو سنة ١٧١٦ حتى

نشرتها حفيدتها . انى لعل يقين من انها كانت لا تكتب

لتنشر . كانت تعلم انها تكتب لأفراد العائلة ، وكانت

الرسائل فى هذا العصر تنتشر فى دائرة كبيرة وتقرؤها

أوساط كثيرة نوعا ما . ولكنها كانت تكتب كما تقولين
كيفما يسيل الحبر من قلمها بطريقة طبيعية وليس لمن
يأتى بعدها من الأجيال .

سيرجيو : اتظن ذلك ؟

جيرار : نعم ، فهذه هى قوة رسائلها أو عظمتها .

بريزون : ولكن عرف كثير من الناس رسائلها ، ولو أنها لم تنشر .

ألم تتمتع بشيء من الشهرة فى زمانها يا مستر جيرار .

جيرار : أى نعم ، تمتعت بشهرة فى أخريات حياتها حوالى سنة

١٦٩٠ .

سيرجيو : كانت رسائلها قد تداولت .

بريزون : كانت تعرف معظم أدباء عصرها .

جيرار : أى نعم كانت تعرفهم .

بريزون : كانت تنتقل فى هذه الأوساط الأدبية . ويلوح أن فولتير

كان يחדش ذوقها الأدبى بشيء من النفور ، ولكنها فى

الواقع كتبت عن كتاب عصرها بكثير من الفهم وقوة

الادراك والمفراصة .

جيرار : فعلا .

بريزون : لقد أحست عظمة الفن الفرنسى فى القرن السابع عشر ،

من موسيقى رفيعة وهندسة معمارية فائقة وبقرينة

وقادة . كانت هذه الأشياء تفعم نفسها ، وكانت هى طرازا

من ذلك . .

سيرجيو : كان يزورها رجال من طبقة مولير ، ويقراون المسرحيات ،

وكانت تناقشهم وتنصحهم ، ولها رسائل تصف فيها

كيف كان يحضر مولير الى دارها ليقرا لها هذا أو ذاك .

بريزون : أكانت تبصره بالمواقف المرححة أو غير المرححة فيما يعرضه

عليها .

سيرجيو

: أى نعم ، فإنها كانت أحصف من ينقده ، وكانت الأمور تجري تقريبا على غرار ما يحدث الآن . فأنت عندما تحاول أن تجمع أموالا لتمثيل مسرحية فى برودواى ، فإنك تحصل على مجموعة من الناس وتقرأ لهم أصول المسرحية وترى ما يبدو عليهم من انفعالات . وفى تلك الأيام لم يكونوا فى حاجة للحصول على المال لتمثيل المسرحية ولكن كان لابد من الحصول على انفعالات الجمهور . ولذلك كانت تجمع من حولها بعض الظاهرين فى المجتمع ، من أولئك الذين يتمتعون بذوق اجتماعى أو من أولئك الذين لهم ذوق فنى . وكانت تنصح موليير ببعض التغييرات . ولقد ذكرت ذلك فى كتاباتها .

جيرار

: أتستطيعين القول يا مس سيرجيو أن رسائل مدام دى سيفينى كانت موضوع الحديث عند الطبقات العليا فى المجتمع ؟

كانت تأخذ مكان التليفون . فاليوم لا يستطيع أحد أن يعرف كم هنالك من مدام دى سيفينى ، ينقلن جميع أنواع تلك الأخبار والدرامات والاشاعات وما تجول به القرائح فى التليفون ، ولا يعلم بذلك أحد غير ذلك الذى يستمع على الطرف الآخر .

سيرجيو

: لقد فقدنا فن كتابة الرسائل فى العصر الحديث بالقدر الذى فقدنا به فن المحادثة . واننا لنشعر بفقداننا لذلك فى أثناء الجلوس حول المائدة بعد العشاء - والمائدة بفضلاتها كما هى - والاستمرار فى شرب القهوة أو النبيد أو أى شئ آخر على المائدة حتى الثانية أو الثالثة صباحا ، فى مناقشة أفكار لا نهاية لها . لى أصدقاء فى فرنسا أو فى إيطاليا يفعلون ذلك دائما . ولكننا نميل الى تجنب هذه العادة فى كل مكان .

بريزون : أتقصدين القول ، يامس سيرجيو ، أن الاغتراق في وسائل الراحة الحديثة قد قضى على هذا الشطر من الحياة ؟

سيرجيو : أخشى أن أضطر الى الاعتراف بذلك . فان احدى هذه الوسائل الحديثة تساعدنى على كسب معاشى ، ولذلك فانا لا أريد القضاء عليها .

بريزون : كم يشعر المرء بأسف لفقدان نوع من المدنية نراه في ذروته ممثلا في هذه المرأة ؟ ان كتابها يمثل لى في الحقيقة خصية فريدة من نوعها ، من حيث اننا امام واحدة من أكبر كتاب فرنسا . هذا صحيح ، اليس كذلك يامستر جيرار ؟

جيرار : اى نعم ، هذا صحيح .

بريزون : ها هى ذى واحدة من عظيمات الكتاب ، ولو انها بمعنى ما ، لم تكن كاتبة على الاطلاق . كانت تكتب ما يجول بخاطرها ، وتكتبه في غالب الأحيان لابنتها التى كانت تحبها حب العباداة . واذن فهنا بمعنى آخر تصوير لشخص استوعب المدنية عظيمة وعبر عنها . فتلك صورة الشخص الذى ينتمى الى أعظم المجتمعات الأرستقراطية ، والذى لم يكن هو نفسه خلّاقا مطلقا . لقد كانت مقدرة عظيمة للأشياء .

سيرجيو : انها مصورة وانها لرسمية انطباعية لكل ما يدور من حولها .

بريزون : هذا صحيح ، ولكن ذلك لا يظهر الا تلك العظمة . كانت ثمرة فاخرة لمجتمع تمثل في احساسها وقريحتها ونبوغها الأدبى وعبقريتها ومسيحياتها الطاهرة ، وتكريسها حياتها بشغف لطفليها . وكذلك في فضيلتها .

- جيرار : اى نعم ، فقد جعلت كل شىء واضحاً لا مبالغة فيه ،
فهى لم تظهر فى رسائلها اى طابع للسطحية او التأنق
بمثل ما نجد فى كتابات غيرها من نساء ذلك العصر .
- يريزون : كيف يتذوق شخص لغته الأصلية هى الفرنسية ، كما
هى لغتك يا مسيو جيرار ، قراءة رسائلها ؟
- جيرار : انها تلوح حديثة للغاية عندما تقرأها اليوم ، انها بسيطة
جدا . هى كماء ينساب من غدير .
- يريزون : ايمكن ترجمتها ؟
- جيرار : اى نعم ، وانها لتنقل الى الانجليزية معنى البساطة
واستقامة القصد نحو الملاحظة . . . انها كذلك بكل تأكيد .
- يريزون : وهذه السلسلة من الأفكار . أحب الفصل الذى تكتب
فيه الى أحد أصدقائها ، تقول « انى متأكدة أن أحفاد
الكروان الصغير الذى يعيش فى مزارعك سوف تغنى
بطريقة أفضل لأنك عدت ثانية » .
- سيرجيو : ولها فقرة تخبر فيها صديقاً عزيزاً بخطبة ابنتها وكانت
قد بلغت الرابعة والعشرين ولم تتزوج ، فكانت بالفعل
آنسة كبيرة . وهكذا وصفت الخطبة : « سوف أخبرك
بخبر أنا متأكدة انه سوف يسرك . هو أن أجمل فتاة
فى فرنسا سوف تتزوج — ليس بأجمل الشبان ولكن
بأكثر الرجال جدارة فى المملكة . ان زوجات هذا الرجل
قد توفين جميعاً فأخلى الطريق لابنة عمك ، وبتوفيق
نادر مات أبوه وماتت أمه أيضاً . ومع معرفتنا بأنه أكثر
ثراء مما تصورنا وجدناه الى جانب ذلك بالمراث والمركز
الاجتماعى والصفات الحسنة يتمتع بكل ما نتمنى ، فلم
نعامله كما يتعامل الناس فى مثل هذه المناسبات ، ولكننا
عاملناه بمقتضى أساليب الأسرتين . يبدو أن الناس

فرحون وهذا أمر عظيم لأننا من الحمق بحيث نخضع دائماً لايول الرأي العام » .

بريزون : هذا نموذجي ، اليس كذلك ، لأنها تفصح عن انصرافها ، للأمور الدنيوية من ناحية ، ومن ناحية أخرى عن كفايتها في أن تضحك على نفسها وعلى أولئك الذين من حولها لأنهم ينصرفون دائماً الى الدنيا . وقبل كل شيء لم يكن هذا الرجل الذي تزوجته ابنتها غير نبيل طيب . اكان كذلك ؟

سيرجيو : كلا . ولا ارى انه اسعد ابنتها . وانك في الحقيقة ربما تجد في ذلك سببا للمرارة التي أصابت ابنتها ، وفي عجزها عن الاستجابة الى انصراف أمها الكلي اليها وفي رغبة أمها الجارفة لأن تملأ حياة هذه الابنة بأمور الحياة التي خلفتها من ورائها لتتبع الزوج . وربما تجد في نقص هذا الرجل لكل الصفات التي كانوا ينشدونها ، السبب في ذلك الشيء العظيم الذي خلفته لنا مدام دي سيفيني . هو تلك الرغبة الجامحة في أن تجعل ابنتها تعيش الحياة التي لولا ذلك لعاشتها ولكنها لم تستطع .

بريزون : افترض أن هذا مثال آخر يا مس سيرجيو للحقيقة الماثلة: وهي أن تعاسات هؤلاء الناس كانت من حسن حظنا .

جین اُپر شارلوٹ بروکے

شارلوت برونتي

(١٨١٦ - ١٨٥٥)

احدى اخوات ثلاثة انحدرن من أسرة برونتي ،
واشتغلن بالأدب فانتجن أشهر الروايات في الأدب
الانجليزى في القرن التاسع عشر ، وهن شارلوت ،
واميلى وآن .

واكتنفت حياتهن ظروف أليمة ، اذ توفيت والدتهن
بمرض السرطان ولما يتركن بعد مرحلة الطفولة . ولزمهن
سوء الطالع فمات أفراد الأسرة جميعا وهم في ميعة
الصبا والشباب .

تلقت شارلوت تعليمها مع أخواتها في مدرسة .
كليرجى للبنات ، ثم بقيت بالمنزل - بعد وفاة أختها ،
اليزابث ومارى بمرض السل - لتتعلم الفنون المنزلية .
وفي تلك الفترة عكفت على القراءة والاطلاع فجمعت
في جمعيتها الكثير من المعلومات ثم التحقت في عام ١٨٣٥
بمدرسة مسوولر في روهيد ، ثم عملت مدرسة فيها
بعد تخرجها .

وأهم أعمالها الأدبية رواية « الأستاذ » التى لم
تلق نجاحا يذكر مما دفعها الى كتابة روايتها الثانية
« جين اير » التى لاقت نجاحا كبيرا ، وبعد موت جميع
أخوتها كتبت روايتها الثالثة « شيرلى » ثم روايتها
الأخيرة « فيليت » التى تعتبر أروع ما أنتجت هذه
الكاتبة العظيمة .

تعريف بالكتاب

مارى ، واليصابات ، وشارلوت ، وباتريك برانويل ، واميلى ، وجين ، وأن .

هؤلاء هم الأخوات اللاتى يحملن اسم برونتى : ست بنات وصبى واحد هو باتريك برانويل ، صاحب الاسم المستعار من أبيه ومن جده لأن اسم أبيه باتريك واسم جده برانويل .

كان أبوهم راعى الكنيسة فى البلد رجلا غريب الأطوار صارم الخلق ، عاش فى شظف وفاقه على قدر مرتبه الصغير ووسائله المحدودة ، ولكنه عاش فى كرامة موفورة ، وفى استقامة ظاهرة باطنية ، لا يشوبها رياء ولا ادعاء .

وكانت أمهم ماري برانويل . فتاة ضئيلة الجسم ولكنها على نصيب من الوسامة ، وعلى نصيب مما هو أشرف من الوسامة وأرفع وأجدى ، وهو عزة النفس وطيب السجية ، تدل عليها مكانتها فى قلب زوجها الكريم المستقيم ، ويدل على هذه المكانة أنه سمي وليدتهما الأولى باسمها ، وسمى وليدهما الوحيد باسم أبيها .

ماتت الأم بمرض السرطان قبل أن تتقدم الى سن الكهولة ، وبعد حياة معتلة فى جهد وصبر واكتفاء بالقليل من العلاج ومن ضرورات الحياة .

وماتت الأختان الكبيرتان - ماري واليصابات - فى سن الطفولة ، وعاش الصبى الوحيد الى سن الشباب ولكنه مات فى عنفوان عمره بعد استنفاد شببته القصيرة فى السكر والمجون .

أما الأخوات الباقيات اللواتى عمرن قليلا فقد كانت أطولهن عمرا

شارلوت ، لأنها ماتت سنة ١٨٥٥ وقد ناهزت الأربعين ، وعرفت أختها الأخرى في عالم الأدب . أحدهما « أميلي » توفيت سنة ١٨٤٨ عن نحو ثلاثين سنة ، وشقيقتها آن توفيت بعدها بأربعة أشهر عن تسع وعشرين سنة .

ولم يتعلم الأخوات جميعا في غير بيتهن ومدرسة صغيرة في طبقة المكتبات الأولية ، وزادت شارلوت وأميلي بحصة من التعليم المتقدم بمدينة بروكسل ، فعرفتا اللغة الفرنسية معرفة حسنة تؤهلها للقراءة فيها والاستفادة من مطالعاتها ، ولم تكسب كلتاهما شيئا من المال غير مائة جنيه لكل منهما ورثتها عن خالتهما التي تولت تربيتهما بعد موت شقيقتها ، ولم يكن كسبهما من العمل يزودهما بشيء يزيد على الكفاف ، وأصلحه للكسب والراحة هو عمل المربية أو المدبرة المنزلية في بيوت المتوسطين والمتوسطات من أشباه الفقراء ، لولا التستر بمظاهر الأغنياء في تقاليد المعيشة .

وقد سجلت لنا أقلام الأخوات الثلاث اللاتي اشتهرن في عالم الأدب أسماء الرجال والنساء الذين عملن معهم وراء العناوين القصصية المستعارة ، فاذا بهم جميعا مع قليل من الاستثناء متسمون بسمات الجد المفرط الى حد الصرامة أو سمات الغرابة الى حد الهوس أو سمات القلق الى حد الشقاء . . . فليس في شخوص الروايات والتضائيف التي كتبتها شارلوت أو أميلي أو آن — بطل واحد أو بطلة واحدة يلزمهما الانسان بغير صبر طويل وقدرة دائمة على الأغضاء والغفران .

ولما شرعت الأخوات الأدبيات في الكتابة لم يستقبلهن عالم النشر والتوزيع بكثير ولا قليل من الاقبال والتشجيع ، فاضطروا الى طبع الكتاب أحيانا على نفقتهم ، ولم يزد ما بيع من بعض الكتب على نسختين ، ولم يحفل النقاد بما وصل الى أيديهم من تلك الكتب في مبدأ الأمر . ثم كان الناقد الذي شذ عن هذه القاعدة الشاملة شرا على « المؤلف المزعوم »

من زملائه الصامتين ، لأنه وصفه بالقسوة والوحشية واصطناع المواقف
التي تذهب بغرائب الطباع مذهب الاغراق والاستحالة .

ان قيمة المكتبة « البرونتية » عظيمة في ميزان النقد والأدب ،
ولكنها - مهما يبلغ من عظمتها - تقصر عن قيمة الذخيرة الخلقية التي
نستفيدها في حياة كل شقيقة من هؤلاء الشقيقات النابغات ، ومن حياة
الأسرة بأسرها بين النجاح والخيبة وبين الألفة والغربة .

حيوات قصيرات لم تكد أطولهن أن تبلغ الأربعين .
حيوات مضت في الضنك والصبر على الشدة والخشونة من الدنيا
ومن الناس .

حيوات لم تستعد للمعترك المرهوب في عصرها بعدة من التعليم
تزيد على النصيب المقدور لعشرات الألوف بين عامة النساء والرجال .
كيف تثمر حياة من هذه الحيوانات ثمرة نافعة ؟

وكيف تبقى لها قدرة على الخلق والانتاج ولا تضيع كل الضياع بين
مصائب الموت والسقم ومصاعب الضنك والقسوة من الدنيا ومن
الناس ؟

هذه كلها آفات « سالبة » تهدم وتحطم ولا تساعد على بناء ولا بقاء .
فمن أين جاءت تلك القوة الموجبة التي قاومت كل ما أحاط بالفتيات
الضعيفات من قوى الهدم والسلب وتركت لهن بعد ذلك فضلا من
القدرة على الخلق تعيش معهن وتعيش بعدهن ، وتعيش الى اليوم ؟
تلك القوة الموجبة هي الايمان الموروث والايمان المكتسب والايمان
الحق بدعامة للحياة وأساس للخير في الدنيا وفي النفس البشرية صالح
للبناء عليه .

فهذا الانسان ناقص وتلك الانسانة ناقصة .
وهذا الرجل لثيم كفور وتلك المرأة سخيصة خرقاء .
هذا العمل ضائع وذلك الأمل خائب .

هذا الزمن مجذب مضطرب ، وذلك الزمن متخلف مدبر ، أو مستقر على الجمود والركود .

لكن هذه النقائص جميعا هي «النسخ» المغلوطة من الأصل الصحيح، وهي النقل الكاذب عن الصورة التي تكشف الكذب وتنفيه ، وتمنعنا أن نقبله ونزكيه ، لمجرد وجوده تحت نظر العيان ، لأن الصورة الصادقة موجودة أيضا وجودا لا شك فيه بين أطوار الضمير .

ولقد كان الايمان بهذه الدعامة الراسخة بعض ميراث الفتيات من خلائق أبويهن ثم تعلمن بالقذوة المحسوسة كيف يكون الرجل في مكانة أبيهن بوظيفته الدينية ثم يقنع بما رزقه الله من كفاف العيش ويأبى أن يسىء الى مكانته الملحوظة بعمل من أعمال التبذل أو أعمال النفاق ، وكيف تكون المرأة في ضعف أمهن ثم تروض بنيتها الهزيلة على متاعب المنزل ومطالب التربية وضرورات الحياة الاجتماعية ، وتتقبل قضاء المرض العياء بالصبر الذي يترفع عن الشكاية وبالتسليم الذي يتحرج من الشك في الخير والتبرم بالحياة .



كانت لشارلوت صديقة كاتبة روائية هي السيدة اليصابات ستيفنسون التي اشتهرت بعد زواجها باسم قرينها جاسكيل ، وكانت مثلها بنت راع للكنيسة ثم أصبحت زوجة راع لكنيستها وكنيسة أبيها . وهي الكنيسة التوحيدية ، وكتبت ترجمة وافية لصديقتها شارلوت نشرتها في سنة ١٨٥٣ أى بعد وفاة الصديقة بسنتين مستعينة في هذه الترجمة بما علمته وما سمعته من أبيها وما أودعه بين يديها من محفوظات الكنيسة وسجلاتها ، فكانت ترجمتها هي المرجع الأصيل لحياة شارلوت وأخبارها البيئية والأدبية ، وكانت في عصرها كما كانت الى اليوم أوفى التراجم وأنفعها على الإطلاق .

ففى هذه الترجمة تروى المترجمة عن أسرة صديقتها أنها تربت على سنة « القناعة الرواقية » وتعودت الزهد في ترف الغذاء والكساء ،

وكان العابر بذارها لا يشعر بأن في الدار طفلا واحدا وفيها كل هؤلاء الأطفال الصغار وربما جلست أمهن مع الأطفال تقرأ في صحيفتها وتخرج من الدار التي عكفت فيها على تربية صغارها وقراءة صحيفتها أو كتب صلاتها هي على اطلاع واف بكل ما يتحدث به المتحدثون اليها والمتحدثات عن أخبار العالم ومساجلات البرلمان ، ويجلس معها أولئك الصغار في الدار فلا يزعجونها ولا تزعجهم فيما يتلهون به من شواغل اللعب والمطالعة ، لأن البنات - ومعهن أخوهن - يقضين الوقت بعد معاونة أمهن في شئون الدار أما بالقراءة أو بعرض القصص التي يطلعن عليها ويلقن محاوراتها على السنة الأبطال والبطلات من التماثيل الصغار ، وكان تمثال القائد ولنجتون - بطل شارلوت المحبوب يخرج من جميع الوقائع منتصرا على خصومه ظافرا بأكليل الفار .

ولا يخفى أن الآداب البيتية - سواء جرت على سنة القناعة الرواقية أو على سنن التربية الحديثة - تختص البنات من أطفال البيت بأدب التحفظ والاحتشام لأنهن أمهات المستقبل وزوجاته والمشرفات على بيوته والآخذات في تلك البيوت بزمام حياتها الاجتماعية ، ولا يعفى الصبيان من آداب التحفظ والاحتشام حيث تغلب على الأسرة وتشيع بين رجال البيئة ونسائها في جملتها ، ولكنهم ينالون قسطهم من الحرية خارج البيت باختيار آبائهم أو بغير اختيارهم ، لأن حياتهم خارج البيت هي الحياة التي يتدربون لها ويعددهم العرف للمشاركة فيها على علاقتها . . . وفي حالة هذه - الأسرة - أسرة بروننى - كان الصبى الوحيد باتريك « برانويل ينال من هذا الاستثناء فوق ما يناله الصبيان عادة في الأسرة المحافظة أو في الأسرة المتحررة من تقاليد الصرامة الرواقية ، لأنه الصبى الوحيد بين ست بنات شقيقات ، يدللنه ويميزنه بينهن بالرعاية ، كما يدلله الأبوان اللذان غلبتهما فتنة هذا الحنان على صرامة « الرواقيين » ووقار المتدينين المتزمتين . وقد جنى عليه هذا التدليل ودفعته الحرية الخارجية الى « رد الفعل » الذي يجاوز بصاحبه حدود الحرية المباحة ،

فكان افلاته من القيود أشد من افلات الطليق الذى لم يعرف المنع والتقييد .

أما الأخوات الرواقيات فقد نجون من الفتنة بخير ما تعتصم به النفس البشرية بين عوامل الهدم والقلق ، وهو عمران النفس باليقين والأمل ، وأغناهن ما بينهن من العطف والرحمة عن التماس العطف المفقود عند الدنيا والناس ، فاحتملن من الدنيا والناس ما لا تحتمله النفس البشرية بغير ذلك اليقين وذلك الأمل .

والمرأة بما تأصل في وجدانها من غريزة الأمومة مطبوعة على التضحية والغفران تعطى ولا تنتظر الجزاء وتحب وتقيس حبها بمقدار ما ترتضيه من ألم في سبيله ، ولا يعطل فيها هذه الغريزة شيء غير فقدان الثقة بالخير في هذه الحياة ، تطلب الخير فلا تجده ، وتطلب الثقة فلا تجدها ، فاذا انقلبت الى نفسها لم تجد ثمة غير « الأناية المريضة » توشك أن تستمرىء الشر لذاته وأن تستمتع بالقسوة لذاتها ، وأن تطلب ما لا حاجة به وتضمن بما تستغنى عنه ، وأن تقابل التضحية بنقيضها من طرف الأناية المسوخة ، لأن التضحية تعطى بغير جزاء ، ولأناية المسوخة تأخذ بغير حاجة .

ولقد تمت فضيلة التضحية في الأخوات الرواقيات بغريزة الأنثى وعقيدة الايمان ، فاعتصمن بها من آفات الشدة والضنك ومصائب الموت والسقم ، وخرجن من تلك المصائب والآفات جميعا بذخيرتهن الموفرة الباقية وهى ذخيرة القدرة « الموجبة » على الخلق والانتاج .

ولقین الشر والأشرار في دنياهن فكان الشر غداء لرحمتهم يشعرون بحياتها ، وكان الشرير عندهن مصابا يحتاج اليهن ولم يكن جرثومة يبتعدن عنها ، فاذا ابتلين بشره كانت هتفتهم له : مسكين ، ما أشقاه ، ولم تكن هتفتهم : تبا له .. ما أظلمه وأقساه ..

وأغرب الغرائب في قصة « چين اير » أن تشغف البطلة بالرجل الذى أشقاه دون غيره من زمرة الرجال حولها ، ولكنه — فى هذا الحساب — أول ما يخطر على البال وأقربه الى المؤلف .

ولقد كان الهاما من «الدريك» في حوارهِ أن يقول : « ان الصراع لا يبدو هنا بين النزعة الرومانتيكية في ذاتها والواجب .. لأنها ليست نزعة رومانتيكية على الاطلاق ولكنها نزعة دينية ، وهى النزعة التى تبعث الطاقة فى الرواية وتعطيها مثل هذا السمو والقوة » .

ولسنا نريد أن نلخص الرواية فى هذه الصفحات لمن لم يقرأوها ، لأن التلخيص يذهب بخفايا ذلك التطور النفسانى العجيب الذى يتصرف به العاطفة البشرية - مع طبيعة التضحية - فيتحول بها من النفور الى الاهتمام الى الاشفاق الى التعود الى الصفح والشفغ وضعف العزيمة على الفراق .

ولكن حوار النقاد فيما يلى كاف لفهم خفايا السريرة البشرية فى طوية الكاتبة وطوية البطلة الروائية التى أعارتها كل ملامحها ، وقد نفهم كثيرا جدا من حياة الكاتبة وحياة البطلة اذا فهمنا معجزة الايمان بالجانب « الموجب » من الحياة الانسانية ، وفهمنا أننا ننتظر من هذا الجانب وحده أن يبنى ويخلق ولو تضافرت حوله عوامل الهدم والسلب ، لأن القدرة على « التضحية » تبتعث فى النفس - ولا سيما نفس الأنثى - غاية المستطاع من الاعطاء والتكوين .

عباس محمود العقاد

الحوار

(١) جون و • ألدريك • (٢) مارجريت وبستر • ليمان بريزون

بريزون : أسلم بأنى عندما مضيت أعيد قراءة جين إير ، أثارتني بعض الشيء الصورة التى لا يست فن الكتابة فى منتصف العصر الفكتورى ، وشعور الاستعلاء الذى كان عنوانا على رجال ذلك العصر ونسائه . وسرعان ما استهوانى هذا الكتاب أكثر مما استهوتنى كتب أخرى من كتب ذلك العصر الفريد . ولقد تبين لى أنه صدم شعور من قرأوه منذ حوالى مائة سنة - ولم يصدى شعورهم لمجرد أن كاتبته امرأة وانما من أجل الطريقة التى كتبت بها عن إحدى النساء . أنه لواحد من تلك الكتب التى استوعبت البحث فى حالات النساء .

وبستر : لقد احترت دائما فى معرفة السبب الذى من أجله صدمت جين إير شعور معاصريها تلك الصدمة العميقة . وأرى أن سبب ذلك كان لصراحتها من ناحية - فلم يكن أحد ليتوقع امرأة فى صراحة جين إير - وبسبب ماهية الاحساس القائم بينها وبين مستر روشستر من ناحية أخرى ، ذلك الاحساس الذى ربما بدا بصورة

(١) John W. Aldrich أستاذ اللغة الانجليزية المساعد بجامعة فيرمونت ، ظهر له

حديثا كتاب فى النقد بعنوان « ما بعد الجيل الضائع »

(٢) Margart Webster ممثلة ، وتقوم باخراج مسرحية «سانت جون» التى تعرض

فى نيويورك .

- تكد تكون عارية بالنسبة لمعاصري الكتاب .
- بريزون : حسن . لقد كان للنساء في سنة ١٨٤٧ يا مس وبستر ،
عواطف من المفروض أنهم لا يطلعن عليها أحدا .
- وبستر : لقد كن يخفيها بعناية تامة .
- الدريك : اى نعم . وتتمثل المشكلة في أن جين امرأة ترفض قبول
التقاليد السلبية .
- بريزون : ومع ذلك ، فهي يا مستر الدريك ، صلبة حازمة كآية
فاضلة . انها ترفض الزواج من مستر روشستر وتصبح
زوجته الثانية بالرغم من حقيقة انها تحبه حب العادة .
- الدريك : اى نعم . انها تلتزم حدود طبقتها الاجتماعية على وجه عام
غير أنها باعتبارها فرد . تحس احساسا عظيما بجدارتها ،
وترسم بطريقة خاصة جدا جميع الأحداث التي تحدد
مصيرها . وانك لتشعر منذ الوهلة الأولى أن الرواية
تعالج صراعا بين الأهواء الرومانتيكية والواجب .
- بريزون : بين سيد عظيم ومخدومه الصغيرة .
- الدريك : اى نعم .
- بريزون : وتلك فكرة رومانتيكية جدا في سنة ١٨٤٧ .
- وبستر : هي على هذه الصورة تبدو مطابقة تماما لمنتصف العصر
الفكتوري ، ومع ذلك فهي ليست على الإطلاق كما
عالجتها شارلوت برونتي ، فكتورية تماما أو متمشية
مع العصر الفكتوري أو عاطفية ، كما أنى لا أرى أيضا
انها قصة حب رومانتيكى في واقعها . أترى ذلك
يا مستر الدريك ؟
- الدريك : كلا . فانها قد تبدو كذلك من النظرة الأولى الا أنك اذا
فحصت الرواية فحصا دقيقا ، تدرك أن فيها شيئا أكثر

من ذلك ، وأن جين قد صوّرت كذلك في الحقيقة من أجل نوع من الحب لم يقم على مفاتها الجسمانية كامرأة - فذلك ما لم تكن تملكه - وإنما مؤسس على صفاتها الحقيقية . . خادمة ، وسيدة صالحة .

بريزون : الكلمة « خادمة » هي التي تعنيها بالضبط يا مستر الدريك ؟ ربما تقصد « خادمة » بالمعنى الفكتورى . اتعنى بذلك الشخص الذى يقدم خدمات حقيقية .

وبستر : الخدمة الكريمة ، ألا ترى ذلك ؟

الدريك : تماما .

بريزون : ولكن أليس هذا في الحقيقة أحد الأشياء التي تلفت النظر في هذا الكتاب مما يجعله في مرتبة بخاصة به ؟ فانك تدرك فيه الحكمة الميلودرامية المطابقة تماما للعصر الفكتورى ، ويصور لك الطفلة اليتيمة التي يؤذيها ابن عمها غير الشقيق ، ذلك الشرير .

وبستر : القريب الثرى .

بريزون : قريب ثرى . . انها تذهب الى مدرسة ، انها تكاد تموت جوعا ، انها فتاة مثتهرة ، تتصادق هي وبنات أخريات ، حيثما اتفق مع ملائكة صغار أو شياطين صغار . ثم تعمل مربية ، وتقع في حب هذا الأسود الحاجبين ، مستر روشنستر الرومانتيكى ، وكانت له زوجة مجنونة يخفيها في علية منزله . انك تروىها بهذه الصورة فتبدو كأنما هي مأخوذة عن قصة أطفال خرافية .

وبستر : أى نعم ، غير أن جين لا تشبه سندريلا المعروفة . ان جين فيها أصالة من كل الوجوه خاصة بها . ويتبين هذا كما أرى في الكتاب منذ بادى البداية وأظن ذلك في الفصل الثانى عندما استجوب جين وهى بنت العاشرة ، الماكر

مستر بروكلهرست ، الذى أصبح غول المدرسة التى أرسلت اليها - عما اذا كانت طفلة خيرة أم شريرة ، وكان قد أخبر بأنها طفلة خبيثة ، فيقول لها : « أتعرفين ماذا يحدث للبنات الصغار الخبيثات » فتقول « أى نعم ، يذهبن الى الجحيم » فيقول « وما الجحيم ؟ » فتقول « حفرة تفعمها النار » وعندئذ يقول « حسن . وماذا تفعلين اذن لتفادى ذلك ؟ » فتجيبه قائلة « حسن . ينبغي على أن اظل بصحة جيدة ولا أموت » . ان الخروج على العرف المألوف ينطبق تماما على جين اير فى الفصل الثانى وتستمر كذلك حتى نهاية الكتاب .

بريزون

: أليس من أكثر الأمور غرابة أن هذه الأنسة شارلوت برونتى التى كتبت الكتاب ولم تتجاوز الثلاثين وكانت قليلة الخبرة ، قد عرفت كيف تخلق فى حدود الاطار الميلودرامى المطابق تماما لعصرها ، هذه الصورة الكاملة للفتاة بإبعادها الثلاثة ، وتضفى عليها مثل هذه الحيوية والواقعية . هنالك ضرب من الخبث على ما يفهم من هذه الكلمة بالمعنى الحديث فيما يتعلق بما بثته شارلوت برونتى فى جين اير . على انى لا أقصد الخبث بمعنى النقص فى الفضيلة .

وبسستر

: أتظن أن شارلوت وجين هما نفس الشخص ؟

بريزون

: ان ذلك لأمر هام يجدر التفكير فيه . . أهما كذلك ؟

وبسستر

: أميل الى الاعتقاد بأن جين شخصية صارخة فى ذاتيتها ،

ولا أقصد بذلك مطلقا التجارب التى نقلت إلينا ، وانما أقصد أنها امتداد للقدرات غير العادية وللخلق الغريب الذى اختصت به شارلوت نفسها .

الدريك

: أظن أن جين فى المعنى المطلق للابتكار الفنى ، انما تمثل

كيف تأصل في نفس شارلوت ذلك الحنين العميق وقد
وفقت الكاتبة في ذلك على نحو لم يوفق اليه الا قصاصو
الطبقة الأولى .

بريزون : لم يكن هذا الكتاب معروفا تقريبا في ذلك الزمن . أليس
كذلك يا مستر ألديك ؟

ألديك : أى نعم .

بريزون : ومع ذلك فانها حققت في هذا الكتاب شيئا لم يحققه
أحد من قبلها ، فبالرغم من انها لم تكن كاتبة محترفة
ذات خبرة ومراعاة ، كانت مجرد فتاة صغيرة نشأت في
بيت راع من رعاة الكنيسة . ماذا تقصدين بخبرتها
يا مس وبستر ؟ ان ما أثر عنها يدلنا على وجه العموم
انها لم تكن ذات تجربة بالمرة .

وبستر : هذا بالضبط ما اعنى . فقد ذهبت كما يفترض الى
مدرسة ما ، شبيهة بأدنى المدارس مرتبة جاء ذكرها
في هذا الكتاب ، غير انه لا دليل هنالك على انها قابلت
قط من يدعى مستر روشستر ، أو أنها عاشت أحداث
التجارب التي وردت في هذا الكتاب . الا ان قدرات
شارلوت لا بد كانت هي ذاتها نفس قدرات جين ، أما
المعيار بأن جين كانت فريدة في الأدب بالقدر الذى نسلم
فيه بأنه لم يكن لها أسلاف ، فينبغى أن يكون نفس
المعيار الذى يحدد القدرة الابتكارية الفريدة لشارلوت
نفسها . ألا ترى ذلك ؟

ألديك : أى نعم . فقد كانت عندها القدرة لأن تنتفع بصورة كاملة
بما كان لديها من تجارب محدودة .

بريزون : ما الصراع الذى كنت تتحدث عنه يا مستر ألديك ؟
ما هو في أساسه ؟ ان الصراع بين الحب الرومانتيكى

والمبدأ انما هو بالرغم من كل شيء أقدم صراع اشتملت عليه القصص . كيف هو مختلف هنا ؟

الدريك : يلوح لى أن الصراع لا يبدو هنا بين النزعة الرومانتيكية فى ذاتها والواجب . النزعة هنا ليست رومانتيكية على الإطلاق . انها نزعة دينية وهذه هى النزعة التى تبعث الطاقة فى الرواية وتعطيها مثل هذا السمو والقوة .

بريزون : ماذا تقصد « بدينى » فى هذا الصدد ؟

الدريك : لقد تشبثت جين فى جميع مراحل الرواية بطاعة الله .

بريزون : وليس مستر روشستر ؟

الدريك : أظن أن روشستر أصبح فى النهاية الرجل الذى يمثل الله فى نظرها ، فأصبح البديل الأرضى المقبول للاله الروحى .

بريزون : أصبحت فروديا بعض الشيء الآن .

الدريك : ربما أنا كذلك ، غير أنه من الطبيعى أن يجرى المرء بأن يجرى فى هذا الكتاب على نمط فرودى . ونحن اذا كانت معلوماتنا عن شارلوت أكثر قليلا ، لاستطعنا أن نكون فروديين نحوها بصورة شائقة .

بريزون : حسن اذن . ولنفترض الآن أن هذا الصراع انما هو

صراع أساسى فى الكتاب . فعندما وجدت جين أن مستر روشستر سوف يتزوجها (ومما لاشك فيه أنهما كانا متحابين كثيرا) فيما لو لم تكن تلك المخلوقة الصاخبة المخيفة المجنونة فى علوية المنزل هى فى الواقع الزوجة الشرعية لمستر روشستر ، بالرغم من أنها زوجة شريرة جدا وتستحق الموت ولكنها لم تمت ، فان جين المعدمة التى لا حول لها ولا قوة — على هذا كانت النساء فى تلك الأيام — والتى ليس لها أى سبيل تسلكه بنفسها ، تخرج

بلا معين ولا نصير وتجازف بالعار وبالموت جوعا عن أن
تصبح الزوجة الثانية للرجل الذى تحب . وهذا ما يبدو
فى ظاهر الأمر كأنه مجرد رفض لأن تستغل بطريقة بالغة
الرومانتيكية والميلودرامية . وأنت تقول ان ذلك عن
شعور دينى !!

الدريك

: هو كذلك الى حد ما . انها تتبع المبادئ بطريقة تقليدية
تماما . ولكنها خلف هذا الغطاء تريد أن تكون محبوبة
من أجل ما تتمتع به من صفات الفتاة الفريدة . وانك
لتتذكر كيف قاومت بعنف محاولات روشستر عندما
أراد أن يردها تلك المرأة التى عرفها فى الماضى معدا اياها
لحياة تكون فيها عشيقة . لم ترد هذا . لقد أرادت دائما
كما أرادت شارلوت أن تكون محبوبة من أجل شخصها
ومن أجل الصفات التى أظهرتها لروشستر .

بريزون

: ومن أجل المزايا التى تستطيع منحها اياها .

الدريك

: من أجل المزايا التى تستطيع منحها اياها .

بريزون

: ومن ثمة فانه عندما أقفل الباب فى وجه روشستر ،
وجدت هى فرصتها سانحة .

الدريك

: على وجه الدقة . والآن لم يعد الأمر بعد يتعلق بحياة
تقودها الشهوة الجسمانية . بل انها أضحت حياة تضحية
تتجلى فيها صفاتها بوصفها مربية وفتاة ظريفة جدا وان
عدمت الجاذبية .

وبستر

: هى تعبير أيضا عن احساس كبير بالأمومة شائع بين نساء
كثيرات ، وذلك كما أرى قد أضفى على جين احدى
الصفات التى ترى كثيرا من القارئ أنهن على غرارها
تماما .

الدريك

: أى نعم ، فهى تمثل النساء جميعا .

ولقد كان لها آلاف ممن خلّقنها (ولو أنه لم يكن لها أسلاف) وكانت ماجى ويلي احداهن ، ولقد أصبحت طرازا شائعا ولكنها لم تكن موجودة عندما كتبت شارلوت .

بريزون : كلا ، فقد كان المفروض فى النساء أنهن أقل ايجابية من حيث مزاياهن قبل أن يكتب هذا الكتاب . ولكن ماخطب الشخصيات الأخرى من حيث واقعيتها ؟ فإذا كان لجين هذا التأثير العظيم الذى تحسه عندما تقرأ الكتاب وأنت تحاول جاهدا تفهم الصفة البلاغية الصعبة التى كانت تميز الأسلوب الفكتورى ، فما هو احساسك نحو وشستر نفسه ، ذلك الناتىء الحاجبين المستدير الاكتاف البالغ الرجولة ؟

وبستر : حسن . فان هنالك أيضا شيئا فى روشستر يجعله جذابا بطريقة غير مألوفة لكثير من الناس . ان جزءا من الفتنة التى نأنسها فى الكتاب ينحصر فى أن جين ومستر روشستر قد بدأ ينجذب كل منهما لصاحبه ، أو هذا ما أشعر به ، لأن كليهما لم يكن فردا من الأفراد التقليديين العاديين . فلم يكن أحدهما متلائما تماما مع التقاليد ، بالرغم من أن مستر روشستر كان أقرب الى ذلك . ولكننا قد قابلنا كثيرين من أولئك الأبطال ذوى الحواجب الكثة الذين لم تعترف لهم التقاليد بالوسامة أو الجمال بالمعنى الرومانسى لهذه الكلمة . فيهم خشونة فى طباعهم ولكنهم يتمتعون برجولة فائقة - كذلك نرى فى مستر روشستر - الى جانب مافيه من رجولة - عقلا طريفا شائقا .

بريزون : ولكن اليس هذا رومانتيكى بعض الشيء أيضا يا مس وبستر ؟

وبستر : هو على اليقين رومانتيكى من ناحية . ولم لا يكون كذلك ؟ غير أنه يلوح لى أنه بالرغم من أن عادات مستر روشستر أدخل في باب الرومانسية الفكتورية ، فقد كانت فيه واقعية جليلة المعالم .

بريزون : حسن . إذا فرغنا من هذين ، فماذا عن الآخرين ؟ ماذا عن تلك المخلوقة الشريرة المجنونة المسكينة المأسورة في عليّة البيت التي تحاول أن تقتل كل انسان ، والتي كان على روشستر أن يتزوج منها ، إذ احتيل عليه حتى تزوجها - ماذا عن ذلك الشبح المخيف المختفى وراء الأحداث ؟ أهى شخصية واقعية ؟

الدريك : هى شخصية مستخرجة من التقاليد القوطية .

وبستر : أرى أنها البعير الذى ينبغى عليك أن تبلغه .

بريزون : ليست شخصية مقنعة في نظرك ؟ أنها تمثل الشر الخالص .

الدريك : كلا ، انك لست مقتنعا بها قبل كل شيء لأنك لا تراها الا قليلا جدا ، ولكنها الشر مجسما ، وأرى أنها من الناحية الدراماتيكية ، قد أدت الغرض المطلوب منها في الرواية .

وبستر : أى نعم ، انها ضرورة فنية لحبك الرواية . ولم تحاول شارلوت أن تفحصها بأية طريقة ذات شخصية . أمثلت هى ؟

بريزون : وماذا عن مستر سان جون ريفرز ، ذلك البشر العظيم ، الذى أراد أن تصحبه شارلوت كزوجة على أساس الحب الأفلاطونى .

وبستر : لا أومن به إطلاقا . .

الدريك : انه واحد من الشخصيات الضعيفة في الكتاب .

- بريزون : حسن . أنت اذن تقولين ان شارلوت برونتي كانت قادرة على خلق هذه الشخصيات الكبرى ، كاملة قوية عميقة ، الا ان رسمها للشخصيات الأخرى لم يكن بنفس المهارة ؟
- وبستر : ليس هذا القول صحيحا على اطلاقه . فبعض الشخصيات الثانوية قد صورت على نحو حى عميق - فعندك مثلا بسى الممرضة ، ومسز ريد ، والعمة الخبيثة ، وعندك مسز فرفاكس كبيرة الخدم ، وأديل الطفل الصغير . ان كثيرا من هؤلاء ، وحتى الحوذية الصغار الذين لم يذكروا الا فى سطور قليلة ، كان تصويرهم محكما . . ولكنى أظن ان زوجة روشستر الأولى ومستر ريفرز ، وكذلك السيدات الجميلات اللأى صوّرن مناقضات لجين ، وربما كان ذلك عمدا ، ومنهن بلانش انجراهام وروزا موند أوليفر ، أظن ان هؤلاء قد صوّرن فى سطحية وبغير عمق .
- الدريك : انهن لسن سطحيات تماما . فهن يستطعن أن يحصلن على العمق الدرامى لأن جين تتمتع بنوع من الموهبة يظهر لك نواحي عدم الاتساق البشرى فى كل هؤلاء الناس .
- بريزون : انك تتحدث عن جين كأنما هى شارلوت تماما الى حد أنك الآن تتكلم عن جين على اعتبار انها كتبت قصتها .
- الدريك : أعرف ذلك . أعرف ذلك .
- بريزون : اتقصد ان شارلوت برونتي كانت تتمتع بهذا النوع من النبوغ عندما كتبت عن جين .
- الدريك : أى نعم ، فقد كانت تتمتع بهذا النبوغ .
- وبستر : حسن ، الآن تكلمت عن زواج شارلوت وروشستر .
- بريزون : أعلم انى قلت . أعلم ذلك .
- وبستر : أتعنى بذلك أن هنالك تطابقا فعليا كبيرا جدا بين الشخصيتين ، أم أننا نتخيل ذلك ؟

بريزون : لا أشك أن هنالك تطابقا . ولكن دعنى أعود الى شيء
فتننى فى الكتاب ، وهو شيء أرى أنك أبرزته يا مستر
الدريك . كيف يتأتى لفتاة عاشت هذه الحياة الضيقة
فيما يبدو ، أن تدرك هذا الإدراك الشامل لمثل هذه
المشكلة الانسانية العميقة وتكتب مثل هذا الكتاب ؟ انها
لمشكلة قديمة .

الدريك : انها مشكلة قديمة جدا . وجميع الشبان الذين يريدون
الاشتغال بالأدب يسألون هذا السؤال .

بريزون : حسن . أنك عندما تعلم الشبان الكتابة - وانى لموقن أن
هذا جزء من عملك يا مستر الدريك - ألا يقولون لك :
« حسن . أنا لا أستطيع الكتابة لأنى لم أجب الآفاق
بعد ، أنا لم أذهب بعد الى الصين ، لم أقع بعد فى غرام
سنة نساء فقدت خمسا منهن ؟ » ماذا تقول ؟

الدريك : كلما أخذوا يحسون بالأسف لحالتهم ، فعليك أن تشير
الى الشقيقتين برونتى . كانتا كاتبتين لم يكن لهما فى
الحقيقة تجارب تميزهما يمكن الحديث عنها ، ومع ذلك
فقد أنتجتا أعمالا من الطبقة الممتازة .

بريزون : ما الجواب ؟

الدريك : الجواب واضح ، ذلك أن الشقيقتين برونتى قد استغلتا
تجاربهما أتم استغلال ، وأن كل المادة الهامة فى جين اير
هى جزء من حياة شارلوت .

بريزون : فى الخيال ؟

الدريك : أى نعم . فقد كانت متفتحة الحواس بدرجة كبرى ،
وكانت تتمتع بهذه القدرة الكاملة للانتفاع بالخبرة ، تلك
القدرة التى تكلم عنها هنرى جيمس باعتبارها موهبة
لا غنى عنها للكاتب .

بريزون : معنى ذلك أن الخبرة لا تفيد أولئك الذين لا يتمتعون بهذه الموهبة ؟

وبستر : ليس الأمر كله أمر خبرة فيما أعتقد . وتبرز هذه المشكلة بينة لى فى خلال أعمالى المهنية الى حد ما . يظن الممثلون أنه ينبغي عليهم أن يكونوا قد فعلوا شيئاً من أجل أن يمثلوه على المسرح . ولكن من الحمق الشديد أن تتصور أن عليك أن تقتل حتى تستطيع تمثيل دور مكبث . ان القدرة على تخيل التجارب العاطفية والانفعالية هو الشيء الهام فى أى فن . اليس كذلك ؟

الدريك : أى نعم ، وأرى أن شارلوت ، قد حصلت على كل ما تحتاجه من البصيرة وثاقب النظر الى الاتصالات الرومانسية نتيجة لتجاربها فى بلجيكا .

بريزون : وقد قالت شيئاً للنساء لا يزال يعنى أموراً كثيرة ؟ لقد قلت يا مس وبستر أن جين كان لها أخلاف كثيرات .

وبستر : على وجه التقريب . فقد قرأت الكتاب بأكمله من البداية الى النهاية ما عدا فقرات صغيرة جداً . فى اذاعة كولومبيا ، كنت أقرأ ثلاثين دقيقة كل صباح فى الساعة التاسعة والرابع ، وهو وقت غير ملائم تماماً .

بريزون : أكان الناس يستمعون ؟

وبستر : كانت تصلنى عادة أكثر الرسائل غريبة . وصلنى مئات من الرسائل ويتضح من ذلك أنه كان هنالك أناس يستمعون كل يوم . ومما لا مرأى فيه أن الكتاب له قيمة قصصية فنية كبيرة ، فضلاً عن قيمة الشخصيات ، الأمر الذى فتن به الناس . ولا تزال تصلنى رسائل حتى اليوم ، وعندما أغادر نيويورك فأنى أقابل أناساً

يتكلمون عن مقدار اعجابهم الكبير بالكتاب وكيف كانوا دائما يتتبعونه بحماس - من هؤلاء العميان ، والبعيدين في الغابات ، وربات المنازل وهن يفسلن الصحون ، والذاهبين بسياراتهم الى العمل في الصباح . لقد كان له مستمعون كثيرون ، مخلصون ، مفتونون به .

بريزون : اكان هؤلاء أناسا ممن لم يعرفوا الكتاب من قبل يا مس وبستر ؟ .

وبستر : أظن أن الغالبية العظمى منهم كانوا كذلك . وربما كان بعض منهم قد قرا الكتاب في حديثه ولم يكن يتذكره تذكرًا تامًا .

بريزون : ان ما أحاول ان أصل اليه هو اهم نقطة : ماذا تعنى جين اير لقارئ حديث ؟ عندما قرأت جين اير بمهارتك المرموقة ، هل انس الناس فيه كتابا جديدا ولم يكن رد الفعل الذى نتج عن قراءتك راجعا الى الأدب فحسب . وبستر : أرى فى الحقيقة أنها كانت فى اقل الأمر استجابة أدبية واعية ، ولكنها استجابة طبيعية لكتاب هو بأخطائه كلها ، من كتب الأدب العظيمة . أرى انه استرعاهم لانه من ناحية يتضمن حبكة بها من الجودة ما بمسرحية مغرية - وربما كان ينبغى أن يسمى « جين اير تواجه الحياة » - ومن ناحية أخرى لما فيه من أن المستمعة العادية تشعر بأنها جين اير .

الدريك : أى نعم . انها تحرر النساء جميعا من أى عذاب قد يتفق أن يعانينه فى تلك اللحظة .

بريزون : اتعنى أنهن كن يمارسن أحلاما رومانتيكية أو أنهن كن يرين فى السياق الواقعى لحياتهن أناسا أكثر سطوة .

الدريك : أى نعم ، فانهن يستطعن أن يرين أنفسهن مثلها قدرات ،

- معتمدات على أنفسهن في تشكيل مصائرهن ؟
- بريزون : ولأن جين شكلت مصير ما يرين من انهن يستطعن تشكيل مصائرهن .
- الدريك : أى نعم .
- وبستر : ومن خلال جين يرين أنفسهن شخصيات ممتعة ، وتستحق كل اعجاب . وأرى أن الجانب الفكه في جين وفي الكتاب لم يتبلور تماما في غالب الأحيان .
- بريزون : أى فكاهة تقصد ؟ أنت لا تقصد كوميديا الشخصيات .
- وبستر : حسن ، فلنقل السخرية اذا اردت . فقد كانت ذات روح فكهة فريدة في بابها وبخاصة اذا أدخلنا في اعتبارنا انها امرأة فكتورية .
- بريزون : وان الرواية تقص قصتها بشكل خاص .
- وبستر : عن نفسها بل وعن مستر روشستر . وقدرة المرأة على الضحك من الرجل الذى تحبه صفة نادرة الى حد ما .
- الدريك : أى نعم ، وفي الكتاب تهكم خالص . لقد كنت افتن دائما بالمشاهد في بداية الكتاب حيث يقدم بروكلهرست مثلا . كما كانت بعض مهازل عائلة ريد مثيرة للسخرية الشديدة ، ولكنها سخرية لازعة .
- وبستر : عجبا ، هو كذلك .
- بريزون : ولا تزال تحس لدعتها . اقصد أنها لا تظهر لك في صورة دمي صغيرة تتحرك في عرض هزلى .
- وبستر : لا اظن ذلك ولا أرى أن أفراد هذه الأسرة يشبهون العمة ساليز اطلاقا . فمثلا ، عند بداية الكتاب ، وعندما قدم لك بروكلهرست المقوت ، ووصفت جين أولى تجاربها المخيفة حينما التحقت أولا بمدرسة لوود . فانك تظن أن الأمر سيؤول الى مثل البيئة التى أخرجت أوليفر

تويست حقيقى ، ولكنها ليست كذلك . فقد كان هنالك شخصيات تتصف بالإنسانية والوضوح والاعتدال ، وينتهى بك الأمر الى الاعتقاد فى صلاحية مدرسة لوود بدلا من التفكير فيها باعتبارها مجرد أداة للتعذيب ابتكرت لتظهر لنا جين .

الدريك : حسن ، ولا أظن أنى أعتقد فى صلاحية هيلين بيرنز .

بريزون : أهى ملائكية جدا ؟

وبستر : انها ملائكية بعض الشيء .

الدريك : أعتقد أن شارلوت كانت تتمثل فى مخيلتها احدى

شقيقاتها الصغار ، وربما كانت مفعمة لها بالود والمحبة .

بريزون : أعتقد فى الشر الغريب الأطوار ، ولا تعتقد فى الخير

الغريب الأهواء ؟

الدريك : أن تصوير الخير الغريب الأهواء أصعب كثيرا .

بريزون : أظن أنه كذلك .

وبستر : حسن ، أن الشر الغريب الأطوار أكثر تشويقا على أية

حال . أما الخير الغريب الأهواء فقابل لأن يكون سطحيا

تافها ، وهذه هى الخصيات المميزة لجين ، فانى أرى

أنها ليست خيرة غريبة الأهواء وليست سطحية تافهة .

بريزون : ولكن ما أكثر ما تستجيب الى جين بعمق واستيعاب ،

فأنك تشعر أنها هى ذلك الشخص الحقيقى . أكان من

الممكن أن يكون هذا الكتاب أحسن مما هو - وهذا سؤال

تأملى صرف - اذا ما أمكن أن نعاود كتابته وفقا للتقاليد

الواقعية الحديثة . أى اذا أمكنك أن تتخلص من

الخطابات الفكتورية ؟

الدريك : أظن أن الخطابات لا غنى عنها .

وبستر : وأرى ذلك أنا أيضا . أرى أنها تفرغ على الصورة نوعا

من الكمال . أحد الأسباب التى كسبت بها شارلوت

سواء أكانت بمحض الصدفة أم عن قصد هو التناقض بين بساطتها وبلاغتها . ان أحب الجمل الى في الكتاب كلمة تأتي في ختام هذه القصة ، القوية الواسعة المضطربة المدومة ، بعد جميع الأشياء التي مر بها هذين الشخصين . هذه الجملة الافتتاحية للفصل الأخير : « قارئ ، لقد تزوجته » .

بريزون : ان زواجها في ذلك الحين ، فيه ارضاء ولا شك لأولاء الرومانتيكيات الصغار اللاتي يردن اعطاءها الفرصة التي تبتغيها لتكرس نفسها لبطلها الأعمى تقريبا الأشوه تماما ، وذلك أيضا يرضى طلب مستر الدريك . ان ما طلبته حقيقة هي أن تكون امرأة عشقت لذاتها ، واتيحت لها الفرصة أن تظهر من خلال عملها القوة والقدرة والتفاني الكامنة في خلقها - أي دافعها الديني الذي هو أساسي في نفسها .

الملكتة فيكتوريا لجيس ليتون ستراشى

جياس ليتون ستراشي

(١٨٨٠ - ١٩٢٢)

ناقد انجليزى ، وكاتب سير ومقالات . تلقى تعليمه
فى كلية ترنتى بجامعة كمبردج . ونال شارة الشرف
الانجليزية عن قصيدته « الى » سنة ١٩٠٢ . كان
عضوا فى « جماعة بلومزبرى » للكتاب والفنانين مع
ج . م . كينز ، وروجر فرى ، وفرجينيا وولف ، وسليف
بل وآخرين . وقد افتتحت دراساته الشهيرة - فى
اثناء الحرب العالمية الاولى - مدرسة جديدة للتراجم
والسير .

له مؤلفات كثيرة أهمها « معالم الادب الفرنسى »
(١٩١٢) و « مشاهير العصر الفكتورى » (١٩١٨) ،
و « الملكة فكتوريا » (١٩٢١) وقد نال عنه جائزة
جيمس تيت بلاك واعتبره الكثيرون افضل ما كتب عن
الملكة فكتوريا .

تعريف بالكتاب

يشيع على الألسنة المتعجلة أن « نحلة الشخصية » تنطوى وتضم في العصر الحاضر لأنه عصر الجماعة وليس عصر الفرد ، أو لأنه بعبارة أخرى - عصر العدد الكثير وليس عصر الآحاد .

ونظرة عاجلة لهذه القولة العاجلة تدل على حقيقة هذه الإشاعة :

نظرة الى عناوين الكتب التي تصدر من المطبعة في الغرب والشرق تدل على حقيقة النظر الى « الشخصية الانسانية في عصر الجماهير » .

فان عناوين الكتب تدل على موضوعاتها وعلى نسبة التراجم والسير بين تلك الموضوعات ، فهي - كما يظهر من النظرة الاولى ومن النظرة الأخيرة معا - أوفر عددا من مثيلاتها في العصور الماضية ، وربما زادت كتب التراجم والسير في ربع القرن الأخير على عددها في القرن التاسع عشر كله مع زيادة عدد المطبوع من تلك الكتب على حسب زيادة الجماهير وهي الجماهير التي يقال بلسانها أنها تعرض عن « الشخصيات » وتنفر من نحلتها المتمثلة في كتب التراجم والسير وفي الكلام على المشهورين والعظماء ، فاذا أضفنا الى الكتب المطبوعة صور الستار الأبيض وأحاديث الاذاعة وأخبار الصحف ، فقد تزيد جملة الشخصيات التي اهتم بها أبناء زماننا على جملة الشخصيات المشهورة في جميع الأزمنة .

ان الاهتمام « بالشخصية الانسانية » لم يبطل ولن يبطل في عصر من العصور ، وربما تغيرت أسباب الشهرة التي يهتم الناس من أجلها بصاحب الشخصية ، ولكن الأمر الذي لا يتغير هو اهتمام الناس بكل انسان يسترعى أبصارهم وأسماعهم بصفة من الصفات أو عمل من الأعمال ، مهما تختلف الصفات والأعمال ، ومهما تختلف الأبصار والأسماع .

وكل ما هنالك من فارق بين تراجم العصر الحاضر وتراجم العصر السابق أن الترجمة كانت عملا خاصا يتوفر عليه مترجمون متخصصون ولكنها اليوم حق مشاع لكل من يعرف سيرة ويستطيع أن يكتب عنها كتابا وربما صدرت الترجمة من قلم صاحبها أو أقلام المقربين اليه وذوى قرياه ، فهي اعم واشيع من أن يحتكر الكتابة فيها « مترجمون متخصصون » .

اننا لا نستطيع أن نختار ترجمة تفصل بين العهدين أصلح من ترجمة الملكة فكتوريا ولا نستطيع أن نختار مترجما متخصصا أصلح لهذا الغرض من مؤلفها ليتون ستراشي . خاتم المترجمين المتخصصين في الآداب الانجليزية .

يقول بريزون في فاتحة الحوار التالي : « ان كثيرين جدا يستطيعون أن يتذكروا وفاة الملكة فيكتوريا ولكن عصرها وحياتها يبدو ان على وجه التقريب جزءا من التاريخ القديم » .

ويقول ميكالوبولوس انها « كان لها شخصية لا مثال لها . بدأت وهي المانية تماما وانتهت امرأة انجليزية » .

وتدهش الأميرة كروبتكين فتقول متسائلة : امرأة انجليزية ؟

فيعود ميخالوبولوس قائلا : « ان عزة منزلتها واعتزازها بكونها ملكة انجلترا ، ربما لم يجعل منها امرأة انجليزية وانما جعل اسمها رمزا لنظام كامل » .

نعم . ان الملكة فكتوريا قد كانت في مدة ملكها الطويلة رمزا لنظام كامل ، وكان هذا النظام كاملا لانه يحيط بحياة الأمة الاجتماعية كما يحيط بحياة الدولة السياسية ، فلما انقضت أيامها انقضت معها مظاهر النظام كله ولاح للناظرين الى الفاصل بين العهدين انهم ينتقلون - كما قال بريزون - من التاريخ القديم الى التاريخ الحديث ولولا طبيعة في المجتمع الانجليزي تحسن التحول التدريجي مع المحافظة على الظواهر

العيانية لما تم هذا الانتقال بغير ثورة دموية تنقطع بها الصلة بين الماضي والحاضر ، ويحس الناس مفاجأتها بدلا من الاحساس بها كأنها مفارقة من مفارقات النقائص والاضداد .

لقد شهدنا نحن في مصر أعقاب العهد الفكتوري وهو يتوارى بزيه الجديد تحت غطاء الزى القديم ، وشهدنا نقائص الانتقال بين العهدين في مدى سنوات معدودات ، فرأينا مندوب بريطانيا العظمى يستبجح أيام الحرب العالمية الثانية أمورا كانت تطيح به من مركزه قبل أن يصبح الصباح ، لو أنه استباحها أيام الحرب العالمية الأولى .

وليس إحق من ليتون ستراشي أن يكتب لأبناء عصره ترجمة هذه الملكة ذات النطاقين : الملكة التي أقامت على عرشها رمزا للنظام الكامل ، ثم أصبحت في قلوب أبناء شعبها وبناته امرأة انجليزية « يقدسونها ويحبونها ، بل يعطفون عليها كعطف الأبوين على فتاتهما الناشئة ، وهي تحسن تمثيل دورها في سميت النساء » .

كان ليتون ستراشي زعيم مدرسة التراجم التي اشتهرت باسم مدرسة التفريغ . Debunking school.

وقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت تعتمد الى السمعة المحشوة بالمقدسات وزخارف التقاليد فتفرغها من هذا الحشو وتبقيها على سجيتها في مبادل الدار ، أو على الأكثر في كسوة الاحتشام بين جدران حجرة الاستقبال ! .

وقد تناول ستراشي عشرات التراجم المطولة والموجزة فصنع بها هذا الصنيع ، ولم يبال أن يمزق عنها الستار في جميع الأحيان ولكنه كان يصنع الستار أحيانا ليفهم الناس أنه ستار فلا يدعه محجوبا في الظلام كأنه محراب من محاريب العبادة والتقديس .

ومن الذين كتب عنهم وعرفناهم بالنظر أو بالسمع لورد كرومر والجنرال غوردون ، فاذا أردنا أن نقيس تراجمه الأخرى بمقياس هاتين

الترجمتين فالحق أنه زعيم مدرسة التفريغ غير مدافع ، ولكننا نظنه مقتصدا في التفريغ حين يجهل بعض الحقائق عن أبطاله في بيئاتهم الشرقية فانهم ليظهرون فيها كثيرا مما يحجبونه من عاداتهم وأخلاقهم بين أبناء قومهم ، ولا سيما الرسميين واشباه الرسميين .



ومن الواضح أن ستراشي لم يخلق مدرسة « التفريغ » في كتابة التراجم والسير ، لأن العصر كله كان عصر « تفريغ » بالجملة في النظر الى الأشخاص والأخلاق وفي النظر الى التقاليد والعادات ، ولكن ستراشي قد استعد للتفريغ في الترجمة للأبطال والبطلات بعدة خاصة لا يشاركه فيها كل كاتب للتراجم والسير ، وربما توافرت له العدة الثقافية مع العدة النفسية التي لا بد منها للتفوق في هذه الصناعة ، فقد كان ولا شك - من أوائل المتفوقين فيها بين كتاب الانجليزية وكتاب اللغات الأخرى في عصره ، وبهؤلاء انتهى عهد التخصص للتراجم والسير واتسع المجال بعدهم لغير المتخصصين « وللشخصيات » التي لم يكن أحد يكتب عنها قبل عصر « التفريغ » .

والعدة الثقافية التي رشحت ستراشي للتفوق في هذه المدرسة هي نشأته في بيت ستراشي الذي نشأ منه غير واحد وغير واحدة على الشغف بأداب اللغة الفرنسية ونقادها المتفرغين لكتابة التراجم والتعليقات على « الشخصيات » .

وقد كان اعجاب ستراشي بأحاديث سان بييف أول درس تلقاه من دروس التفريغ وأول نموذج يمثل به في كتابة تراجمه القصار ، ولم يكن سان بييف خالقا لهذه المدرسة في اللغة الفرنسية ، ولكنه تلقاها - كتلميذه - من وحي العصر في أعقاب الثورة الفرنسية وكان لهذه الثورة فعلها الحاسم في القضاء على تقاليد « الرمز الكامل » لنظام الملكية الباريسية ، فرالت هذه التقاليد قبل أن تزول في الجزر البريطانية ، وربما كانت حروب الجزر البريطانية مع فرنسا هي التي أطالت أجل

« الرمز الكامل » لنظام الملكية كما عرفته الأمم البريطانية قبل نهاية عصر فكتوريا وبداية عصر ادورد السابع . . . ولا ننسى أن ادورد السابع الذى تجددت فى عهده مظاهر النظام كله كان من رواد المجتمع الباريسى قبل جلوسه على العرش ، وكان بعد جلوسه على العرش رسول التوفيق بين الدولتين الانجليزية والفرنسية .

وترادف العدة الثقافية عدة نفسية ساعدت العصر والثقافة على ترشيح ستراشى لزعامة التفريغ . . . وتلك هى عزلته عن المجتمع وشعوره بقلق الحياة البيتية فى فترة الانتقال بين العصر الفكتورى والعصر الذى تلاه . فان بعض العوامل - ومنها عوامل الجسم العليل - قد وقفت للكاتب على أبواب الحياة الاجتماعية فلم يقدم على الزواج ولم يفكر فى بناء الأسرة بين متاعب العصر ، ومتاعب السقم ، وعاش طوال حياته متفرجا على أطوار الحياة الاجتماعية ناقدا لما يتتابع فيها من عوارض الحشو والفراغ ومظاهر الفخامة الداهية فوق بسائط الواقع التى أوشكت أن تتعري من فخامتها . . وبهذه العدة السابقة من عوامل المزاج وعوامل الثقافة وعوامل العصر - تمت للكاتب رسالته وخرجت سيرة « الرمز الكامل » من قلمه بهذه البساطة الانسانية فى هذه المראה الانجليزية . . . ولم يكن أصلح منه لختام مدرسة المترجمين المتخصصين ولا أصلح من ترجمة الملكة فكتوريا « لهذه النقلة بين العهدين » .

عباس محمود العقاد

الحوار

(١) الأميرة كروبوتكين • (٢) أندري ميخالوبولوس • ليهان بريزون

بريزون : بالرغم من أن كثيرين جدًا يستطيعون اليوم أن يتذكروا وفاة الملكة فكتوريا منذ خمسين سنة - وأنا منهم - فان عصرها وحياتها ، انما يبدو ان على وجه التقريب جزءا من التاريخ القديم . ان الفاصل بيننا وبين الملكة فكتوريا هو على وجه التقريب بقدر ما بين ايامنا هذه ودنيا صولون وسقراط من بعد الشقة .

ميخالوبولوس: لا أرى ذلك يا مستر بريزون ، لأنني في الواقع رأيت السيدة العجوز العزيزة .

بريزون : ومع ذلك فانت أصغر مني .

ميخالوبولوس: أصغر منك أنا ؟ لقد رأيتها على أية حال وهي تتجه الى « بارك لين » في عربتها في سنة ١٩٠٠ ، وفي السنة التالية رأيت جنازتها فعلا . ومن ثمّة فان العصر الفكتوري لا يزال حيا تماما بالنسبة لي . واني لا اعتبر نفسي فكتوريا .

بريزون : ولكنك توافقني يا مستر ميخالوبولوس ، أليس كذلك ؟ ان الفاصل بين ذلك اليوم ويومنا ، انما هو على وجه التقريب تام بقدر ما تتخيل .

ميخالوبولوس: عجبا . أي نعم ، أي نعم .

(١) Princess Alexandra Kropotkin مؤلفة ومحاضرة وكاتبة صحفية .

(٢) Andre Michalopoulos محاضر وناقد .

بريزون : ثم ان كتاب ستراشى قد جعل هذا الفاصل بصورة ما ،
اكثر اكتمالا ، ذلك لأنه أعطى لحياة هذه السيدة العجوز
صورة من القالب الكلاسيكى .

كروبتكين : صورة كبيرة جدا من القالب الكلاسيكى . وأظن أن الناس
قد بدأوا يحسون بحنين بالغ للعصر الفكتورى .

بريزون : اتعنين أيتها الأميرة ، أننا نود لو استطعنا العودة الى

ارتداء القرائيل (أغطية للرأس) ومعاطف البرنس البرت؟

كروبتكين : كلا ، ليس هذا ما أردت . ولكن الاستقرار الذى اتصف

به ذلك العصر ، إنما هو أمر بدأ كثير من الناس يفكرون

فيه بصورة أعم كثيرا مما كان يشغلهم فى الفترة السابقة .

ميخالوبولوس : انى لأوافق على هذا موافقة تامة أيتها الأميرة . وانى

لأتذكر اننى عندما كنت غلاما وكنت أدرس التاريخ

اليونانى ، سألت والدى ذات مرة ، « اتظن أننا سوف

نغزى يوما كما غزينا فى الماضى ؟ » فقال « بنى ، لا تكن

أحمق ، نحن الآن فى القرن العشرين ، ولا أحد يغزو أرض

الآخرين » .

كروبتكين : . أى تفاؤل هذا . أنا لا أستطيع أن ادعى انى رأيت الملكة

فكتوريا ، لكنى رأيت بعضا ممن خلفهم العصر الفكتورى .

قابلت وأنا طفلة صغيرة ، شقيقة زوجة تشارلز ديكنز

المس هوجارث ، التى فرض أنها كانت النموذج الذى

صورت على غراره فى « دافيد كوبرفيلد » ، وكانت تشبهه:

فكتوريا أشبها كبيرا . كنت أجلس على كرسى صغير عند

قدميها ، وفيها كنت أتملى ذلك الشبه الكبير فى أهداب

ثوبها الكبيرة ، وفى قلنسوتها الصغيرة المصفورة الجميلة

بأشرطتها البنفسجية .

ميخالوبولوس : أى نعم ، فقد اعتاد السيدات المسنات فى الفترة الأولى

من هذا القرن أن يقلدن الملكة فكتوريا من حيث ملابسها،
وأن يتمسكن بأسلوبها الخاص .

كروبتكين : كن يلبسن جميعا تلك القلنسوات الغريبة الصغيرة .
بريزون : ومع ذلك ، فان كليكما قد شبهتما في انجلترا في ظل العصر
الفكتوري ، فعليكما أن تسلما بأن ذلك العصر كان فيه
جملة كبيرة من أشياء أخرى غير القرنول والملكة فكتوريا .
أما أنها كانت ملكة عظيمة أم لا ، فأمر يستحق المجادلة .
كانت ولا شك شخصا غير عادي . ولقد صورها
ستراشي شخصا من الخوارق .

ميخالوبولوس : لقد كانت شخصا خارقا للعادة .

بريزون : أيمركزها فقط يا مستر ميخالوبولوس ؟

ميخالوبولوس : كلا ، وإنما بشخصيتها . كان لها شخصية لا مثال لها ،
بدأت وهي المانية تماما ، وبكيفية أو بأخرى انتهت ، امرأة
انجليزية . ولا أعرف بالضبط كيف حدث ذلك .

كروبتكين : عجبا . أنا أجادل فيما تقول : « امرأة انجليزية » .

بريزون : أترين أنها لم تكن قط انجليزية ؟

كروبتكين : أرى أنها أوفى شخص الماني قرأت عنه على الإطلاق .

ميخالوبولوس : إلا أن عزة منزلتها ، وإعزازها بكونها ملكة انجلترا ، ربما
لم يجعل منها امرأة انجليزية ، وإنما جعل اسمها رمزا
على نظام كامل .

كروبتكين : أي نعم ، فهذا جعل منها ملكة انجليزية . ان أكثر الأشياء
التي تلفت النظر بالنسبة لي فيما يتعلق بشخصيتها
أنما هي صفة أنجدرت الى العائلة المالكة الانجليزية ، لقد
كانت أمينة مقسطة وصادقة مصدقة تماما . ذكر
ستراشي هذا ، كما ذكرته السيدة ليتلتون .

بريزون : أتفترضين أن هذه خصال المانية وليست انجليزية ؟

كروبتكين : كلا . . كلا . ان هذه خصال حسنة توجد في كل مكان على ما اظن ، ولكنها كانت تتصف بها . نحن نعلم ان الألمان ليسوا جميعا صادقين أمناء ، ولكن كانت تتمتع بهذا ، كما كانت تتمتع بصفة أخرى ، هي المانية جدا ، الا وهى الجد والاجتهاد الهائل .

بريزون : اى نعم . كانت تحب العمل .
كروبتكين : واظن ان اغلب افراد اسرتها ، مع بعض الاستثناءات ، انما هم كذلك .

بريزون : نحن دائما في هذه البلاد أيتها الأميرة نقفل حقيقة ان الأسرة المالكة الانجليزية انما هى أسرة المانية ، وأن مثلهم الكبرى كانت عظيمة على الطريقة الألمانية . نحن ننسى فرض أسرة مالكة المانية على الشعب البريطانى ، لأن الشعب البريطانى يميل الى نسيان ذلك .

ميخالوبولوس : حسن ، لقد نسوها ، لأن ميول الأسرة المالكة البريطانية قد توحدت تماما مع ميول الشعب البريطانى اليوم .

كروبتكين : هذا صحيح .
بريزون : تقولين انها كانت مجدة . كانت تحب العمل ، وكانت تؤمن بأداء واجبها .

كروبتكين : كانت تعمل من الصباح للمساء .
بريزون : كانت تؤدي وظيفتها .

كروبتكين : كانت تعمل . الا تذكر عندما كان مكتبها ملاصقا لمكتب البرت ؟ كان هو اول من يدلف الى مكتبه منهما . كان يستيقظ قبل الساعة .

ميخالوبولوس : كان يستيقظ قبل شروق الشمس ، وكان يعمل في ضوء مصباحه الأخضر الصغير . ثم تستيقظ هى بعده بقليل ، وتجلس الى المكتب الآخر المجاور له ، فتتراكم أمامه

أكداً من الوثائق . وحينئذ يعملان ساعات طويلة .
وكانا يفحصان أدق تفاصيل المسائل الإدارية . ان ذلك
لأمر عجب حقاً .

كروبتكين : انظر كيف عمل جورج السادس بجهد حتى مرضه القريب ،
ان لم يكن يشئون الحكومة فيشئون أملاكه .

بريزون : هنالك فرق ظاهر أيتها الأميرة .

كروبتكين : لكنه لم يخفه العمل .

بريزون : هذا صحيح . فانه مهما بذل الملك الذي نعلم انه كان في

خطر كبير من جهد العمل ، فانهم كانوا يعملون في حكم
انجلترا .

كروبتكين : أي نعم ، حقاً .

ميخالوبولوس : كانوا يتدبرون حتى أدق التفاصيل .

بريزون : ونحن الآن نتكلم عن هذين الشخصين كما صورهما
ستراشي .

ميخالوبولوس : أي نعم . فمثلاً ، أثير موضوع حول ما اذا كان ينبغي ان
يسمح لبحارة البحرية البريطانية ان تكون لهم لحى أم لا .

كروبتكين : لقد لاحظت ذلك .

ميخالوبولوس : ويقول ستراشي ان الملكة ، كتبت باهتمام الى وزير
البحرية . وعلى العموم ، كانت الملكة تحبذ التغيير .

بريزون : من حيث اطلاق اللحية أم حلقها ؟

ميخالوبولوس : من حيث اطلاقها . .

بريزون : أسمح لهم باطلاق لحاهم ؟

ميخالوبولوس : سمح لهم باطلاق لحاهم ، لقد عبرت عن شعورها بأنها
الى جانب اطلاق اللحية دون الشوارب لأن الشوارب
تضفى مظهراً أقرب الى مظهر جنود القوات البرية .
وعندئذ لم يتحقق الهدف المنشود ، وهو الالتزام بالحلاقة .

كروبتكين : لا تنس الفقرة التى تقول فيها انه ينبغي أن تكون اللحية نظيفة ، لأن ذلك أمر مدهش .

ميخالوبولوس : أى نعم ، فانها من ثمة تقول : انه من الأفضل أن تكون اللحية فى جملتها قصيرة وبالغة النظافة .

بريزون : انك تجعلها الآن كما صورها ستراشى ، مجدة ، أمينة ، تقدس الواجب ، مخلصه لزوجها (الذى كان المانيا حتى أكثر منها) ولكنها كانت مغربة بعض الشيء .

كروبتكين : كلا !

ميخالوبولوس : كلا ثم كلا . انى لا أحاول أن أسخر منها ، بل انى أحاول أن أقول بأنها كانت تتعمق بحث كل موضوع . ولم يكن يخطر ببالها مطلقا أن ذلك قد يبدو تطرفا يبعث على الضحك . فلم يكن أحد ليتوقع أن الملكة تهتم بتفاصيل إدارية الى درجة تقريرها ما اذا كان يسمح للبحارة بتربية لحاهم أو حلقها ولكنها كانت تنظر الى هذا الموضوع نظرة جدية ، ذلك لأنها كانت تنظر الى جميع أعمالها تلك النظرة الجدية ، حتى فى أصغر التفاصيل . كانت تعتبر هذا من ضمن التفاصيل لا غير ، ولكن تفصيلا هاما ينبغي عليها أن تصدر بشأنه قرارا .

بريزون : حسن . ثم ماذا بشأن شخصيتها - مرة ثانية كما يصورها ستراشى - فيما يتعلق بالقرارات الكبرى ؟ هل كانت الملكة فكتوريا ، كما يصورها ستراشى ، ملكة عظيمة ، بمعنى أنها كانت ذات عقل من الدرجة الأولى ، يستطيع أن يدرك أمور السياسة العليا ؟

كروبتكين : لا أظن أنه كان لها عقل من الدرجة الأولى مطلقا . وأظن أنها كانت أيضا ضنجة المراس جدا . أتذكر علاقتها بدزرائيلى ؟ يقول دزرائيلى أن كل انسان فى الدنيا يحب

الاطراء ، ولكن اذا اردت ذلك مع الملوك فعليك ان تقدمه بلباقة .

بريزون : لقد قدمه بجاروف .

كروبتكين : لقد فعل ذلك ولا شك . لقد ادخل في رأسها فكرة ان تصير امبراطورة الهند واطاح ذلك بلبها ، فما استكانت نختي اصبحت امبراطورة الهند . كان يداخلها غرور هائل يفرزها ، اذا استطعنا ان نسميه كذلك . وكان هنالك الامر آخر . ارادت الحرب مع روسنيا . وكانت صعبة المراس جدا بخصوص ذلك .

بريزون : حرب القرم ؟

كروبتكين : حرب القرم . اى نعم . ارادت ذلك .

ميخالوبولوس : حاولت ان تستحث الحكومة لدخولها .

كروبتكين : ماذا قالت ذات مرة ؟ وهذا ما اشار اليه ستراشي . هددت بالتنازل عن العرش اذا لم تعلن الحكومة الحرب ، وسمت الروس « عائقى كل حرية ومدنية » وانهم لذلك بعد خمسين سنة .

بريزون : حسن ، فقد كانت لها آراؤها الخاصة فيما يتعلق بهذه الامور الكبرى . ولكن الا نحتاج حتى تكمل الصورة التى صور بها ستراشي هذه المرأة ، التى بالرغم من انها لم تكن امرأة عظيمة ، فقد سادت اوربا والعالم اكثر من نصف قرن ، ان نضع زوجها معها فى الصورة ؟

ميخالوبولوس : ينبغى ذلك قطعاً . ولكنى اجادل فى شىء قلته ، انها لم تكن سيادة عظيمة ، اظن انها كانت امرأة عظيمة ، بالرغم من حقيقة انها لم تكن امرأة ماهرة . .

وولر : ألم تكن ماهرة ؟ اكانت ذكية ؟

كروبتكين : كلا ، اظن أنها لم تكن كذلك . انى لا اوافق مطلقا
يا مستر ميخالوبولوس .

ميخالوبولوس : كانت تتمتع بكثير من الغرائز السنوية ، وبشيء كثير من
قوة البديهة ، كما كانت على قدر كبير من الادراك السليم
الذى يتصف به الألمان ، ولكنها لم تكن امرأة ذكية . ولقد
اتطرف الى القول بأنها ربما كانت امرأة عجيبة .

بريزون : انا ديموقراطى محافظ . يا مستر ميخالوبولوس . احب
أن أعرف رأيك فيما كان يمكن أن يكون مآل هذه السيدة
لو أنها ولدت في أسرة أمريكية ، لا سند لها ولا مركز
ولا مال .

كروبتكين : اذن لسيطرت على أعمال القرية التى توجد فيها ودبرتها .
بريزون : اكانت تصبح رئيسة نادى السيدات ؟

كروبتكين : يا للعجب ، بكل تأكيد .
ميخالوبولوس : ما كانت لترغب في نادى النساء . ولكنها كانت تسيطر
على المدينة وتسوسها .

كروبتكين : لكانت تسيطر على أمور المدينة بلا منازع . أى نعم ، بكل
تأكيد .

بريزون : تسوسها بمقدرة ؟

كروبتكين : اظن أنها كانت تسوسها بمشتهى الحزم .

ميخالوبولوس : فاذا كانت مدينة صغيرة ، اذن لتزوجت العمدة ،
ولأدارتها بالطريقة التى تريدها هى .

بريزون : والآن ، هنالك أمر هام آخر بالنسبة لهذه المرأة -

الا وهو زوجها . يلوح لى أنك لا تكون منصفاً لكتاب
ستراشى القيم ، الا اذا ادخلت فى الاعتبار ، الصورة
القوية النافذة الخارقة للعادة التى صور بها هذا الرجل
التميس الذى تزوجته والذى جعل منها امرأة عظيمة .

كروبتكين : هي التي كونت نفسها ، أو بالحري كونها ستوكمار -
البارون الشهير كريستيان فريدريك فون ستوكمار .

بريزون : الدكتور المختفى من وراء الحجاب .
ميخالوبولوس : اى نعم ، مدير المجد لعرشين .

كروبتكين : لقد كون ليوبولد ، عم فكتوريا ، الذى أصبح ليوبولد
الأول فى بلجيكا ، كما أنه كون بلا مبالغة البرت . الا ان
الأمر الذى يهمنى من الناحية النفسية ، انما هو مقدار
حكيمته ، ذلك لأنه انقذ الزواج . كان البرت شقيا بما
لا يدع مجالا للشك . لم يكن يحب انجلترا كثيرا ، وكذلك
لم يكن يحبه الانجليز . لم يكن على وفاق حسن مع
فكتوريا لأنه كان زوج الملكة فحسب . أما ستوكمار
فمرثه ، واستحثه على العمل الشاق حتى لقد أصبح فى
الواقع شريك الملكة . وكان فى الحقيقة ملكا مع فكتوريا
مدة عشرين سنة .

بريزون : ولكن كان لدى ستوكمار مادة خام جيدة يدبر بها الأمور .
كروبتكين : اى نعم ولا شك .

بريزون : كان البرت فطنا موهوبا حكيما بصورة أوفى بكثير من
فكتوريا .

كروبتكين : أوفى منها بكثير حقا .

ميخالوبولوس : وكان مجتهدا جدا .

وجعل فكتوريا تهتم بشئون الحكم ، ذلك الأمر الذى لم
تكن تميل له كثيرا .

بريزون : اود ان أسأل سؤالا آخر الآن أيتها الأميرة . لدينا الصورة
التي يصورها ستراشى من أنها كانت ذكية بالفطرة ،
عظيمة الجدل الى جانب ما يقول ميكالوبولوس أنها غبية .
ميخالوبولوس : غبية ولكن عظيمة .

بريزون : هذه هي صورة تلك المرأة الغبية العظيمة معا ، مع زوجها الأكثر منها حكمة وموهبة . ذلك الذي استطاع تدريجيا ، وبالرغم من كراهيته لانجلترا ، وكراهية الشعب الانجليزى له ، أن يصبح مع شتوكمار القبوة التي تسيرها في الخفاء . هذا ما يقوله نلتراشى ، والآن لننظر الى ذلك كتاريخ ، اهذا ما حدث ؟

ميخالوبولوس : اتعلم انه اجابة على ما قلت ، أن البرنس البرت هو الذي منع انجلترا من اعلان الحرب على الشمال في الحرب بين الولايات في أمريكا ؟

كروبتكين : أى نعم .
ميخالوبولوس : وأن آخر شيء فعله وهو على فراش الموت - ولقد كان يحب كتابة تلك المذكرات التي لا تنتهي ، وكان يكتب مذكرة من عشرين صفحة بخصوص كل موضوع ، فهو دائما يكتب مذكرات - انه عندما كان في النزاع الأخير فعلا كتب مذكرة يقرر فيها مدى الكارثة التي كانت تحدث اذا دخلت انجلترا الحرب في صيف الولايات الشمالية .

بريزون : حسن . ولكن الملكة فكتوريا كانت في الثانية والأربعين حينئذ . ولقد استمرت تحكم حوالى نصف قرن بعد ذلك .

ميخالوبولوس : لقد استمرت بعد ذلك أربعين سنة .
بريزون : أربعون سنة في سلام . وكانت فترة عظيمة في تطور أوروبا . لم يكن هنالك البرت . ولم يكن هنالك شتوكمار . فقد عاد شتوكمار الى أوروبا ، وكان البرت قد قضى نحبه .

كروبتكين : كانت تعتمد على رؤساء وزاراتها .
ميخالوبولوس : ليس بصورة كلية . ان الأمر الغريب هو انها كانت تعتمد

على الهام ألبرت . فقد كان مكتبه الى جوار مكتبها .
ومن ثم: فأنها كانت تأخذ الأوراق ، وبقدر ما تستطيع
كانت تكتب حواشي مسهبة فيما يتعلق بكل ما يحمله
الينا رئيس الوزراء . كانت تكتب على الهوامش . ولقد
كانت تحس بأنه ينبغي عليها أن تكتب شيئا ، واذن
فكانت تكتب شيئا ، ربما كان به حمق ، وربما كان حسنا ،
ولكنها كانت تكتب رأسا تعليقات في كل شيء .

كروبتكين : أتذكر ما كتبه بعد وفاة ألبرت ؟ أظن أنها كتبت في
خطاب الى أوغسطينا ملكة المانيا ، تصفه قائلة « حياتي
وروحى ووجدانى » ولقد أكدت مرات كثيرة بعد وفاة
ألبرت بأنه كان « وجدانها » . ومن ثمة فإنها تابعت
سياستها كما أظن ، في الطريق التى وجهها فيه ، ولكنها
ارتكبت بعض الأخطاء القليلة .

ميخالوبولوس : اى نعم ، لقد ارتكبت بعض الأخطاء .
بريزون : ولكن شيئا آخر كان يعاضدها . ان ألبرت لم يزرع قط
بأية صورة فكرتها أن الله جعل منها ملكة الانجليز
وامبراطورة الهند ، وكان واجبها أن ترى أنها ملكة
خيرة . لم يكن هنالك أى شك لديها فى ذلك . كان ذلك
وجدان ملكة .

كروبتكين : وعلى العموم أيضا ، كانت محظوظة جدا فى الرجال الذين
أحاطوا بها . وكانت على التأكيد بخيلة للغاية . أتذكر
تلك الضجة التى قامت من حول الثروة التى جمعتها
الأسرة ؟ فأنها لم تمتلك كمية هائلة من المال فحسب -
ولقد قالوا بأنها كدست مليونين من الجنيهات فى الوقت
الذى ماتت فيه - ولكنها ورثت أيضا نصف مليون جنيه
انجليزى من رجل يدعى نيلد . أتذكر ذلك .

ميخالوبولوس: اى نعم .
كروبتكين : كان بخيلا شاذ الطبع ، اوصى بما يملك الى الملكة فكتوريا
بعد وفاته .

ميخالوبولوس: هذه احدى الفوائد من ان يكون الانسان ملكا . ان احدا
سوف لا يوصى لى بنصف مليون دولار .

كروبتكين : ومع ذلك فقد ثار صراع كبير ، حول المبالغ الهائلة التى
حصلت عليها الأسرة . لقد كانت تقول دائما « لقد كبر
ارثر الان ، وينبغى له ان يحصل على ثلاثين ألف جنيه
فى السنة فوق ما يحصل عليه ، وكذلك الملكة تحتاج الى
مبالغ اكثر » . وكان هذا يحدث باستمرار .

ميخالوبولوس: اى نعم ، فقد كانت تبغى المال .
بريزون : الا يكون ذلك مبررا للتساؤل عما اذا كانت الملوكيات
تساوى فى الواقع ما ينفق فى سبيلها .

ميخالوبولوس: لا اظن انها تكلف الان كثيرا كما كانت تكلف فى الماضى .
بريزون : حسنا لقد كلفت كثيرا .

كروبتكين : يا للعجب ، انها تكلف فعلا . اننى لم افكر قط فى اننى
سوف ارى اليوم الذى تنفق فيه النقود فى احسن
وجوهها ولكن لا اظن انها تكلفت بقدر ما يكلف الحصول
على المال بطرق غير شرعية فى دولة غير دستورية . يلوح
لى انه اذا حدث وحصلت على ملك دستورى ذى ضمير ،
فعندئذ مهما كان المبلغ من المال الذى تحصل عليه الأسرة
المالكة ، فانه يكون اقل مما يضيع هباء فى دولة تدار
شئونها بطرق غير مشروعة .

ميخالوبولوس: لا اظن ان فكتوريا كانت دائما ملكة دستورية . كانت ملكة
دستورية ، عندما يكون لها رئيس وزراء تحبه . اما عندما

يكون لها رئيس وزراء لا تحبّه ، مثل جلادستون ،
فيختلف الأمر .

كروبتكين : كما كان الأمر مع بالمرستون . عندئذ تتخطى كل شيء
وبأية صورة .

ميخالوبولوس : الا أنه مع جلادستون ، كان له أغلبية تبلغ مائة وخمسة
عشر صوتا في مجلس العموم ، ولأنها لم تكن تحب أشياء
معينة كان يهدد بتنفيذها ، حاولت هي وقفها .
بريزون : لم يكن يتملقها .

ميخالوبولوس : لم يكن يتملقها . وهذا ما كتبه له « ما من إنسان أصدق
حبا للحرية من الملكة ، لقد استنكرت دائما ميل هذه
الحكومة في تشجيع تيار الديموقراطية المحطمة التي
أصبحت أمرا يندر بالخطر بدلا من صده ، والا فاني
لا أكون ملكة لملكية ديمقراطية » .

بريزون : حسن ، ضع فيما وراء هذا البيان جميع علامات الاستفهام
التي أرادت أن تستعملها ولا شك ، ومع ذلك فان إنجلترا
بنيت في خلال هذه الفترة ديمقراطيتها ووضعت أسس
ثورتها العمالية الحاضرة بالرغم من فكتوريا . نحن ننظر
الى ذلك العصر باعتباره عصرا لانتشار الحرية بصورة
واسعة وباعتباره انتشارا كبيرا للسياسات الحرة ؟

ميخالوبولوس : ان ما يتصف به حكم الملكة فكتوريا ، هو الاستقرار الكبير
وأنه في أثناء هذا الاستقرار الكبير وعظمة هذا التسلط
الاستعماري ، تطورت أيضا فكرة كانت غريبة تماما
بالنسبة لها لأنها لم تكن تفهمها — هي نظريات حرية التجارة .
كروبتكين : كان هنالك أيضا أربعون سنة من السلام . ألم يكن هنالك
تلك الفترة بين حرب القرم وحرب البوير ؟ وفي أثناء زمن
هذا السلم كله ، كان هنالك أمرا واحد كرهته دائما

كراهية تامة في الملكة فكتوريا ، ولا أظن أن ستراشي قد
أبرزه ابرازا وافيا الا في موضع واحد في خلال الحديث ،
ذلك هو أنها لم تشجع قط أيا من العلماء العظام ، أو
الكتاب الكبار أو أيا من عظماء عصرها . أما ألبرت فقد
فعل . ولكن ألبرت كان يهتم بظروف العمال التي لم تكن
تهتم هي بها .

ميخالوبولوس : لم تكن تهتم .

كروبتكين : كلا ، لم تكن تهتم اطلاقا . ليس هنالك أى اثر يدل على
شئ من هذا الاهتمام — على أية حال لا في كتاب
ستراشي ، ولا في أغلب الكتب الأخرى التي قراتها .

ميخالوبولوس : كلا ، لا اثر إيا كان .

كروبتكين : لم تهتم قط كيف كانت أحوال العمل بالنسبة للنساء ،
أو كيف كن يعملن في المناجم ، تلك الأحوال التي كانت
فظيعة كل الفظاعة وغير انسانية . ليس هنالك أى اثر
لشئ يدل على مثل هذا الاشتراك في العاطفة .

ميخالوبولوس : لا اثر . اظن أنه لم يخطر ببالها قط أن تبحث مثل
هذه الأمور .

كروبتكين : لست أعرف السبب في ذلك .

ميخالوبولوس : انها امرأة غريبة الأطوار بصور شتى .

كروبتكين : امرأة أنانية كما أظن .

بريزون : ولكن ألا ترسمين هنا أيتها الأميرة مع المستر ميخالوبولوس

صورة تثير الدهش اثارة حقيقية ؟ ان صورة ستراشي
لا تصور الواقع بمثل ما أضفت اليها . ان ستراشي
يقدم اليك هذه المرأة بعنادها ، واحساسها بالواجب
وشعورها بالثفاني ، ثم تنحيها وابتعادها عن شعبها .
ولكنك تقولين ان جميع تلك الأشياء التي جعلت انجلترا
عظيمة اليوم ، انما هي أمور حدثت بالرغم منها .

كروبتكين : ان انجلترا كانت تتطور من ناحية الديمقراطية بسبب
الرخاء الذى عم وبسبب السلام الذى ساد كما اظن .
ميخالوبولوس: وان فكتوريا هيأت كل هذه الأشياء . كانت تحكم فى
استقرار تام . كانت سيدة عظيمة وملكة عظيمة .
كروبتكين : كانت امرأة حساسة . كانت جديرة بالاجلال . واطن ان
هذا ساعد كثيرا .

ميخالوبولوس: كانت جديرة بالاجلال والاحترام جدا .
بريزون : ان جدارة المرء بالاحترام من الأمور التى نعجب بها جميعا
ولكن ما يلوح أنك تقول الآن - وأنا لست متأكدا ان
ستراشى يوافقك بالرغم من أنه أعطاك الدليل عليه -
هو أنك اذا أعطيت الاستقرار الى مملكة لها امكانيات ،
واذا أعطيتها كمية معينة من الحرية الأساسية ، فان عظمة
الدولة سوف تظهر .

كروبتكين : انى مقتنعة بذلك ، ازاء أية دولة .
ميخالوبولوس: ان أية دولة فيها حيوية سوف تصبح دولة عظيمة بالرغم
من أى حكام .

بريزون : ترى هل تعنيان أن عمل الدولة لرفاهية شعبها عمل خطأ
لأنه لا حاجة بالشعب الى أن تصنع له شيئا أو يكفى
ألا تقف فى طريقه .

ميخالوبولوس: ليس لكلامنا بكل تأكيد علاقة بالدولة التى تعمل لرفاهية
الشعب . أتبحث عن أصول الدولة الصالحة يا مستر
بريزون ؟

بريزون : لقد تأخرت كثيرا فى سؤالك هذا يا مستر ميخالوبولوس .
ولكنى اظن أنه علينا أن نعرف بفضل كتاب ستراشى
لتوجيهنا الى مثل هذه المناقشة التى دارت بيننا عن الدنيا
الحديثة كما انعكست عن انجلترا فى القرن التاسع عشر .

هیدرا جانر
لینیک ابن

هنريك ابسين

(١٨٢٦ - ١٩٠٦)

شاعر مسرحى نرويجى . درس الطب ولكنسه
سرعان ما خصص كل وقته للأدب . عمل مديرا للمسرح
الوطنى فى « برجن » حتى سنة ١٨٥٧ . قام برحلة
قصيرة الى كل من « الدنمرك » و « ألمانيا »
لدراسة فن المسرح ، ثم عين مديرا للمسرح النرويجى
فى كريستيانيا .

أكسبته مسرحية « كوميديا الحب » - وهى أولى
مسرحياته فى نقد المجتمع - شهرة واسعة . حكم على
نفسه بالنفى ، ومن ثم ، ترك النرويج . وفى سنة ١٨٦٧
لقيت مسرحيته الشعرية « بيرجنت » نجاحا عظيما ،
ثم كتب - فى أسلوب نثرى - مسرحية ساخرة بعنوان
« اتحاد الشباب » ، واتبع ذلك بمسرحية تاريخية
طويلة بعنوان « الامبراطور والجليلى » وهى مكونة
من جزئين الأول : « ارتداد جوليان » والثانى : « جوليان
والامبراطور » . ومن بين كتاباته « أعمدة المجتمع »
و « الأشباح » و « عدو الشعب » و « البطة البرية »
و « سيدة من البحر » .

وتمتاز مسرحياته - خاصة الأخير منها - بالواقعية
فى الحوار ، وإن كان عليها طابع الحتمية فى المأساة
اليونانية . ترجمت أعماله الى أغلب اللغات الأوروبية ،
ومن ثم ، كثرت الكتابات النقدية عنها .

تعريف بالكتاب

هيدا جابلر فتاة جميلة ذكية متعلمة مدللة ، ولكنها كما جاء في الحوار التالي « تعبئة حقود فاشلة صارخة الأناية » فلم يكن أحد من الملتفين بها لجمالها وذكائها يتقدم لخطبتها ، اشفاقا من متاعب الحياة الزوجية مع فتاة مثلها . كثيرة المطالب قليلة الوفاء .

وناهزت الثلاثين ولم يخطبها أحد يرضاها وترضاها ، فقبلت أول خطيب يناسبها من الوجهة الاجتماعية ، لأنه طبيب موعود بالترقية الى كرسى الأستاذية ، وفى وسعه اذا ارتقى اليه أن يضمن لها المعيشة فى مسكن جميل والرحلة الى بلاد بعيدة والحرية فى الحياة الاجتماعية ، ولكنه لم يكن يناسبها بمزاجه ومظهره ، لأنه كان وخيم الطبع ثقيل الظل قليل الحركة ، تشغله دروسه عن حياة اللهو والمتعة التى تحبها هيدا . ولا يحسن أن يحيا تلك الحياة ولو فرغ لها بعض وقته ، وقلما كان يفرغ لها فى وقت من الأوقات ثم تفاجأ هيدا بخيبة الأمل فى ترقية زوجها وظهور مزاحم له كان من عشاقها ، ثم تعرف الى فتاة دميعة ضئيلة ولكنها أسعدته بالعيشة البيتية الراضية واعانته على الإبداع فى عمله ، فألف كتابه الأول ثم أردفه بكتاب آخر أبدع منه وأحرى أن يشهره فوق اشتهاره بباكورة تأليفه ، وقد أخذه معه ذات ليلة الى منزل صديقه جورج تيسمان - زوج هيدا - ليقرأ بعض فصوله فى السهرة ومعه صاحبه الطيبة الملهمة ، غريمة هيدا ومنافستها على المؤلف الناجح وعشيقها الأول - واسمه ايليرت لوفبيرج .

وقد علمت هيدا من سيرة زوجها انه كان على صلة بالفتاة الطيبة الملهمة (ثى البستد) قبل أن يهجرها ليخطب هيدا لأنها أجمل وأرشق

منها وأقدر على « الاضاعة » في الحياة الاجتماعية ، فمز عليها أن تستطيع هذه « المخلوقة الضئيلة » ما لم تستطعه هي من الهام صاحبها ومعاونته على النجاح في عمله ، فحققت عليها واجمعت النية أن تكيد لها وأن تفسد ما بينها وبين المؤلف الناجح الذي تحول عن حبها الى حب « فآرة مزدرة في عينيها » .

واتفق عند وصول « الفستد » الى مسكن تيسمان أن لقيه متأهبا للخروج مع صديقه القاضي براك لزيارة صديق لهما أعزب يحيى في منزله شهرة خاصة ، فدعاه تيسمان لصاحبه الى تلك السهرة ، وتردد « الفستد » في قبول الدعوة ولكنه قبلها بعد اغراء « هيدا » له بالذهاب اليها لأنها أرادت أن تفتنم فرصة الانفراد « بالمخلوقة الزرية » لتدبير مكيدتها . وكان تيسمان أول العائدين من السهرة ، وطاذ بعده « الفستد » ولكنه كان قد أضاع في الطريق مخطوطة كتابه الجديد ، فادعى عند عودته الى هيدا أنه أتلها ثم اعترف لها بضياها ، وعلم تيسمان بالخبر فبحث عن الكتاب المخطوط حيث ظن أنه سقط من صاحبه في دار مربية عرجا عليها بعد السهرة « المعربة » بمسكن صديقهما الأعزب .

الا أن « هيدا » لم تشأ أن ترد المخطوطة الى المؤلف الناجح ، بل شجعتة على قتل نفسه قنوطا وغما حين فاتحها بنيتها الأليمة ، وقدمت له هدية « أخيرة » تعينه على انجاز نيته على « نحو جميل » . . . وهي مسدس نفيس من مسدسين اثنين ورثتهما عن أبيها القائد المعبود ولم تبق لها بقية غيرهما من ميراثه القليل .

وعمدت هيدا الى المخطوط فقذفت بها في النار ، وقتل الفستد فتولى التحقيق في أسباب مقتله صديق الأسرة القاضي براك الذي كان معهم في السهرة المعربة ، وكان براك يعشق « هيدا » ويفازلها فتصده عنها ولا تيسر من مراجعتها . فلما كشف التحقيق في أمر المسدس عن دسيسة « هيدا » أراد القاضي أن يستخدم هذا الشر لاختضاع معشوقته النافرة ، ولكنها كانت قد سئمت الحياة وعلمت انها ستواجه

معيشة الحسرة والكفاف بعد خيبة زوجها ومصرع عشيقها وغلبة الوسواس من أثر الجريمة على وجدانها فتركت للمسندس الآخر أن يؤدي عمله الوحيد بعد فعلة « المسندس » الذي ظل يهددها من مكانه في مكتب التحقيق . . . فأطلقت على رأسها وذهبت غير مأسوف عليها . هذه هي الخطوط البارزة في قصة « هيدا جابلر » المشهورة . وهي « شخص مسرحي » من الشخصيات النسوية في روايات « إيسن » الكثيرة ، ولكنها أشهر هذه الشخصيات والصقها باسمه ونماذج فنه ، تذكر هيدا كلما ذكر إيسن كما يذكر هملت كلما ذكر شكسبير على حد قول الأديبة الدنمركية « إيفالي جاليني » فيما يلي من حوار . وسر هذا التلازم بين اسم إيسن واسم هيدا أنها تمثل « خصوصيات » إيسن في تصوير نسائه أو تصوير المرأة الشمالية في زمنه على العموم ، فلم يجتمع لأحدى بطلاته كل ما اجتمع لهذه « البطلة » من غرائب التمرد والجموح والتناقض بينها وبين العرف وبين المأثور من السجيا النسوية ، مع الصدق البالغ في تصوير الطبيعة على حقيقتها ، كلما انحرفت الطبيعة هذا الانحراف .

وقد قيل في التعريف بفضل إيسن على فن التمثيل الحديث أنه نقل الحياة إلى المسرح ، وهو قول صادق لا مبالغة فيه على الأجمال . ولكن المؤلفين المتقدمين قد نقلوا الحياة إلى مسارحهم وأقاموا دعائم المسارح كلها على هذا الأساس الذي لا قوام لمسرح من المسارح بغيره . . وماذا صنع شعراء اليونان والأسبان والفرنسيين والانجليز منذ القرن الخامس قبل الميلاد إلى ما قبل مولد إيسن في موطنه ببلاد النرويج ؟ . . انهم لم يصنعوا شيئاً غير نقل الحياة إلى المسرح وتقريب المسرح إلى الحياة ، ولولا ذلك لما كان للمسرح وجود ولا استحب الناس أن ينظروا إلى مثال معروض عليه . واسم التمثيل عندنا باللغة العربية من وحي البداهة التي تدل على معنى هذا الفن عند المشتغلين به والناظرين إليه ، وكلمات الفلاسفة الاغريق تعريفا بهذا الفن دليل على الموافقة بين وحي

البديهة وعمل التفكير الفلسفى القديم فى فهم رسالة المسرح ، لأنهم قالوا فى التعريف بالتمثيل انه « محاكاة الحياة » . لكن الكلمة التى قيلت عن فضل « أبسن » على المسرح لا تزال صادقة مقبولة ، مع قليل من التفرقة بين مسرح ومسرح ، وحياة وحياة . . .

لقد كان المؤلفون ، أو أكثر المؤلفين ، قبل أبسن ينقلون الحياة الى المسرح ولا يشبهون أبسن مع ذلك كل الشبه فى الأصل الذى ينقلون عنه ولا فى الصورة التى ينقلونها .

كأنوا ينقلون حياة البطولة ، أو ينقلون حياة الهزل والسبخرية ، أو ينقلون الحياة التى نحبها ونتمناها ، أو الحياة التى نعطف عليها وتستجيب لدعوتها ، وكانوا يصدقون النقل عن شعورنا - نحن المتفرجين فيصورون لنا الحياة كما تروغنا وتروقنا أو كما تضحكنا وتسلينا ، أو كما تعلمنا وتبلغ منا مبلغ الموعظة والاعتبار ، وكانوا يعطوننا صورة نفوسنا حين نجد وحين نضحك ، قبل أن يعطونا الصيورة الظاهرة والخفية فى نفوس أولئك المخلوقات المعروضة على مسارح التمثيل .

ولكن الجديد فى الكاتب النرويجى انه التفت الى شخوص المسرح قبل أن يلتفت إلينا ، فليس ابطاله ولا بطلاته ممن نحبه ونعجب بهم ولا هم من الذين نترقبهم ونتمنى لقاءهم ، ولكنهم مخلوقات غريبة تطالعا أحيانا كأنها تقتحم الطريق الى قلوبنا ومشاعرنا ، وكأنها تعيش بحقها فى الوجود ولا تعيش بحقنا نحن فى الرضى عنها والعطف عليها . . . وشفاعتها الكبرى أنها - على غرابتها - موجودة تذهب وتجيء فى دنيانا ولا نحب ان نلتفت إليها ، وانما كان فضل المؤلف انه أرانا ما يتبغى ان نراه وان كنا لا نحب ان نلتفت إليه .

ويندر فى مسرح أبسن ان ترى « الشخصية المحبوبة » التى يرضيك أن تلقاها فى حياتك ، بل يندر فى هذا المسرح أن تلقى « الشخصية المظلومة » التى تود أن تنصفها من ظلمها أو تود أن تقتص لها ممن جنى عليها ، فانك كلما هممت بالقاء الجناية على المسئول عنها فى وهمك وجدته

ضحية مظلومة كمن جنت عليه ، ولا يختلف شأن المجتمع كله في هذه الخصلة عن شأن هذا البطل أو هذه البطلة من شخوص الرواية ، فان المجتمع كله قد يلقي التبعة - آخر الأمر - على الطبيعة البشرية ، أو على الطبيعة الأبدية كلها بما اشتملت عليه من أرض وبسماء ومن حي وجماد . ولم يكتب أبسن قط للعبرة والموعظة أو لتلقين الدروس في عواقب الخير والشر وذرائع الإصلاح والتأديب ، ولكنه يصدق النقل عن الواقع فيعطينا كل ما يعطيه الواقع من أسباب الاعتبار والاتعاظ وقواعد الأدب والصلاح .

وهذه « هيدا جابلر » أغرب شخوصه المنحرفة ، بل أغرب غيلانه المقوطة ، لا تستعصى على طالب العظة اذا أرادها وأراد أن يفيد منها للمجتمع الانساني ثمرة نافعة وراء العلم بالواقع من طريق الفن الجميل . ان « هيدا » مثل للأناية - الضائعة بين المدللين والمضللين ، وان هذه « الأناية » المضللة مثل للفساد الذي يجنيه التدليل ويغذيه الغرور بالوجه الجميل دون الخلق الجميل ثم تتفتح له مسالك الشر مع البطالة والترفع عن شواغل الوقت بغير اللهو والمتاع القريب ، وقد توصف هذه الأناية المضللة بالطمع الموبق والشراسة الجامحة ، ولكنها في حقيقتها داء من أدواء « القناعة » بالجهد اليسير الهين والنفور من الجهد الدائب الحثيث ، فلا تنقاد له طبيعة تتعود العمل وتصبر على الدأب ، وانما تنقاد له كل طبيعة تعجز عن العمل والدأب فتقنع باللهو السهل والفراغ العقيم .

يقول بريزون في فاتحة الحوار « ان أبسن كان يعرف من دخائل النساء أكثر مما يعرفه أى رجل يدعى المعرفة بهن ... ومن المؤكد انه لم يكن يهتم بشئونهن من أجل حالتهم الاجتماعية في مجتمع عصره فحسب ... وانما اهتم بهن باعتبارهن كائنات بشرية ... » .

وهذه أيضا ذريعة دائمة للموعظة والاعتبار فان الطبيعة البشرية في المرأة والرجل عرضة للفساد من جانب هذه « الأناية » التى جنت على

تلك الشخصية المسرحية وتجننى على شخصيات كثيرة مثلها فى عالم الواقع ، وليست « هيدا » بالمثل الفريد فيما تصوّره أبسن من تساء الخيال فانه لم يصور ضحية واحدة من ضحايا الاناث لا تتكرر كل يوم فى انسان حى يصاب بمثل ما أصيبت به مما جنته على نفسها ومما جناه الناس عليها ، لا فرق بين الطبيعة البشرية فى المرأة . والطبيعة البشرية فى الرجل ، ولا فرق فيها بين أبناء الشمال وأبناء الجنوب .

عباس محدود العقاد

الحوار

- (١) ايفالى جاليين . (٢) لويس كروننبرجر .
(٣) ليماى بريزون .

بريزون : افترض ان ايسن كان يعرف من دخائل النساء أكثر مما يعرف أى رجل يدعى المعرفة بهن . ولما لم اكن امرأة ، فلا أستطيع أن أقطع بذلك . ومن المؤكد أنه لم يكن يهتم بشئونهن من أجل حالتهم الاجتماعية في مجتمع عصره فحسب - ذلك المجتمع الذى ترى أنه كان الى حد ما فاسدا قاسيا - وانما اهتم بهن باعتبارهن كائنات بشرية . وربما يكون المفتاح الى فهم ايسن ، أنه فكر في النساء باعتبارهن بشرا . والحق أن أحدا من قبل ، لم ينظر اليهن هذه النظرة الفاحصة .

لى جاليين : ماعدا أنه كان ينظر اليهن في اسكنديناوه على انهن بشر ، أكثر مما كان ينظر اليهن في العالم الأنجلو - سكسونى .

بريزون : ان انحدارك من أصل دنمركى هو ما جعلك تقولين هذا .

لى جاليين : كلا ثم كلا . انك تتجه الى روايات البطولة القديمة لأهل الشمال . هذا صحيح .

-
- (١) Eva le Gallienne ممثلة ، أسست المسرح الأهلئ النموذجى .
(٢) Louis Kronenberger محاضرومؤلف ويشغل منصب الناقد المسرحى لمجلة « تايم » .
(٣) Lyman Bryson الرئيس الدائم لندوات (حول مائدة المعرفة) .
يعمل استاذا للتربية في كلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا .

كرونبرجر : حسن هذا . وربما جعلن من أنفسهن كائنات ينظر اليهن باعتبارهن بشرا ، أكثر من ذى قبل . .

لى جاليين : محتمل هذا .

بريزون : ما أسرع ما كان يظهر أبطال من اسكانديناوه ، حتى تظهر بطلات . أما ابسن فصور لنا بطلة غريبة الأطوار يا مس لى جاليين . ولم تكن شخصا مستحبا .

لى جاليين : كلا ، لم تكن كذلك ، فقد كانت تعسة حقودة فاشلة صارخة الأنانية . ويحتمل أن تكون هذه الحالة هي أول دراسة نفسية كاملة عن المرأة كتبت للمسرح بالمعنى الحديث . ألا ترى ذلك ؟

بريزون : اى نعم ، فان ابسن ، من حيث معارضته اليونان وكبار كتاب المسرحية الفرنسيين وشكسبير ، كان أعمق منهم جميعا . أهذا ما ترى ؟

لى جاليين : اى نعم ، هو هذا ، وأرى أيضا أنه تناول جميع الفوارق الصغيرة ، في حين كان اليونان يعالجون الأمور بصورة شاملة . لقد تعمق ابسن ، وتغلغل في جميع الظلال . انه لأمر عجب أن تعلم الى أى مدى كان خبيرا بشئون النساء . ان ذلك على التأكيد لمن خوارق الأشياء .

كرونبرجر : ألا ترى أن هيدا كانت مصابة بنوع من الحساسية العصبية ، جديد على المسرح ؟ وفق ما كان هاملت شيئا جديدا ، وأصبح فيما بعد طرازا خاصا ومثالا يحتذى .

لى جاليين : هذا حق . ويلوح لى أن هيدا جابلر ربما تبدو لجمهور ابسن كما يبدو هاملت لجمهور شكسبير . فانك في غالب الأحيان عندما تذكر ابسن ، يتجه فكر الجمهور دائما الى هيدا جابلر .

بريزون : استغرق اذن الجنس البشرى مائتى عام بعد شكسبير ،

لي جاليين : حسن ، وينبغي عليك أن تتذكر أنه في عصر شكسبير كان
العلماء يقومون بأدوار النساء . ولا أظن أن غلاما يستطيع
أداء دور هيدا جابلر . وهذا على وجه الدقة الفرق بين
النهج القديم والنهج الحديث في النظر الى المرأة .

بريزون : إذن فعليك أن تحصلي على الاتجاه المسرحي الحديث ،
قبل أن تحصلي على المرأة الحديثة في المسرح . ولكن لماذا
تقولين بأنها كانت فاشلة ؟ كانت من أسرة طيبة ، ولم
تكن على التحقيق تعسة الا حين اتعست نفسها . فيم
كان الفشل ؟

لي جاليين : حسن ، فقد وجدت حيث لا يجب أن توجد ، وعاشت
في وسط لا يناسبها . وأظن أنها كانت في الحقيقة
أرستقراطية المولد . وجدت نفسها في أخس أجواء
الطبقة الوسطى وأفسدها ، وأحست بأنها وقعت في
شباكها . ولا شك في أنها لم تكن امرأة مستحبة ، أما
مقدمتك فصحيحة من حيث هذا . لقد كانت أنانية .

بريزون : ولماذا تزوجت الأستاذ تسمان ، ذلك التافه الذي تأخذه
العين . لقد كانت ابنة جنرال قبل كل شيء .

لي جاليين : أظن أن سمعتها كانت قد فسدت تماما . ففي البداية ،
توفي والدها ثم تورطت تماما مع لوفبورج
بريزون : : : الشاعر ؟

لي جاليين : . . . المعروف باستهائته وتحلله من التقاليد . لقد تورطت
معه حتى لقد كثرت عنهما الأقاويل . وأنت تعلم أيضا
أنها كانت تقول لبراك ان الرقص أجهدتها ولكنها تستمر
فيه . لم تعترف أنها تتقدم في السن ، وما كانت لتنطق
بذلك . هي في الثلاثين . واذ ذاك ، كانت في السن التي
لا بد من أن تتزوج فيها . . .

كرونبرجر : أظن ذلك . لكن اليس هنالك شعور بين الناس الذين
تعرعت بينهم هيدا ، بأنها من طراز غير مناسب . انهم
لا يشقون بها ، ويعرفون أنها تختلف بعض الشيء عنهم ،
ولا تهتم بأن تبدو لطيفة نحوهم . ان امرأة وصولية
مثل « بيكى شارب » ، التى تتمتع ببعض صفات هيدا ،
تبدو حريصة للغاية عندما تختلط بالطبقة العليا . غير
ان هيدا ربما كانت تستهزئ بهؤلاء ، وتظهر بمظهر من
لا يأبه بهم .

بريزون : كانت تنظر الى نفسها كأنما هى ارستقراطية حقيقة .
لى جاليين . اى نعم ، وربما كانت تتمتع ببعض الطباع السيئة التى
يتشامخ بها بعض الارستقراطيين .

كرونبرجر : انها مثال المرأة التى ترى انها غير مكتملة السعادة فى
مجتمع متمسك بالتقاليد الى اقصى الحدود بيد أنها
تكون أقل سعادة عند بعدها عنه .

بريزون : هذا حق على التأكيد يامستر كرونبرجر ، ولكنها كانت
أيضا متمسكة بالتقاليد . الا يستنتج مما قالته مس
لى جاليين - انها ما كانت لتذهب مع لوفبورج ، وما كانت
لتتزوج ؟

لى جاليين : كلا ثم كلا ثم كلا . فقد كانت شديدة التمسك بالتقاليد .
كرونبرجر : حسن اذن ، ومن أجل هذا أقول انها تكون أقل سعادة
وهى فى بيئة أخرى ، عما تكون فى بيئتها ، لأنها لاتستطيع
فى الحقيقة أن تبتعد كثيرا عما هو تمسك بالتقاليد .

بريزون : ما كانت لتذهب مع الشاعر وأن تصبح مستهينة خارجة
على التقاليد .

كرونبرجر : كلا ، فانها ما كانت لتصبح بوهيمية قط .

لى جاليين : كلا على الاطلاق . وأرى من واقع الأمر ان ذلك أحد

الأسباب التي من أجلها تتبرم بشيا أى مسز الستد تبرما كبيرا ، لأن مسز الستد ، تحب لوفبورج ، وترغب فى أن تتماذى فى هذا الحب ، ولها قدرة كافية على أن تفعل ذلك ، فى حين أن هيدا لم تستطع ذلك قط ، لأنها كانت تخشى دائما أن يتقول عليها الناس ، بشيء يعتبر خارجا على التقاليد .

بريزون : أن تمسكها بالتقاليد جعلها تجبن ، كما كان السبب فى فشلها ، وجعلها شخصية تراجيدية .

لى جاليين : أنت محق ، واظن أيضا أن تمسكها بالتقاليد ، هو الذى حملها على أن تطلق على نفسها النار .

بريزون : لقد تنكبت بذلك طريق التقاليد ؟

لى جاليين : انها ما كانت لتواجه موقفا قدرا أو مسيئا على أية حال من الأحوال . واظن ان عبارة « الشرف له التزاماته » كانت دائما تجول بخاطرهما . وأن « الشرف له التزاماته » فى هذا الوقت كان أمرا عظيما ، وانى لموقنة بأن والدها اعتاد أن يقول لها « الشرف له التزاماته » .

كرونبيرجر : أى نعم ، وأعتقد أنها ربما كانت تملك هذه الشجاعة - وهى ليست شجاعة ناشئة عن إيمانها ، وانما هى شجاعة الطبقة التى تنتمى اليها .

لى جاليين : هذا حق ، وهو ما أقصد اليه تماما .
بريزون : لكن انظرى الآن كيف صارت الأمور . انها غلطة مريرة

ولا شك بالنظر الى مطالبها من الحياة ، تلك التى ارتكبتها بزواجها من ذلك المتعالم الأستاذ الصغير تسمان . انها ما كانت لتسعد معه مطلقا . هذا واضح تماما .

لى جاليين : لا اظن أنها كانت تملك أى اختيار فى الحقيقة . أترى ذلك أنت ؟

بريزون : ربما لا أرى ذلك ، ولكنها لم تحاول جهدا أن تسعد
معه . كانت تمتهن أقاربه ، وتعامله بغيض ، وأفصحت
تماما عن ضجرها . وأتذكرك وانت تمثلين هذا الدور
يا مس لى جالين ، وانى لموقن أن هيدا كانت كذلك .
فانك لم تكونى مبعث سرور كبير لتسيمان فى هذه
التمثيلية ، ومن ثم فانه عندما عاد عشيقها الشاعر
أو صديقها الشاعر لوفبورج ثانية ، وكانت تفكر فيه
باعتباره أغنية حبها فى الحياة ، لم تعامله معاملة حسنة
... هو الآخر ، اذ عاملته فى الحقيقة بمقت . أكاييت بذلك
تضرب بالحياة عرض الحائط ؟

لى جالين : الى حد ما . وانى لأشك أنها كانت تدرك أنها تعثامله
بمقت . وأظن أنها أرادت أن تحرره من نوع من ...
أستطيع أن أقول نوعا من الاستعباد . وانك لتدرك أن
ثيا ، أرادت أن تجعل منه مواطنا عاديا ، كريما ، يحترم
نفسه ، أما هيدا فأحست بأنه ينبغي له أن يعطى من
الحرية ما يؤهل به أن يكون عبقرى .

بريزون : ومع ذلك فانها ما كانت لتتمادى معه فى هذه الحرية .
لى جالين : كلا ، ما كانت لتتمادى .

بريزون : فكرت فى أنه كان ينبغي عليه هو أن يتمادى فى تحرره ،
وخاب أملها فيه لأنه لم يفعل .

لى جالين : أى نعم ، أعتقد ذلك .

بريزون : : اما ما انغمس فيه فمعاقرة الخمر .

لى جالين : : أى نعم ، فعل ذلك . وفى نهاية المطاف خيب ظنها فيه
خينة مرة ، لأنه لم ينفذ وعده لها ، وهو أن يطلق على
نفسه الرصاص . لقد تسبب فى أن يصاب بالرصاص فى
حادثة شنيعة قدرة جد القذارة ، وقد أساء هذا بكل

تأكيد إلى شعورها بحس الجمال ، الذى كان يتملكها من الأعماق .

بريزون : لكننا نستطيع يا مس لى جاليين أن نتذكر ذلك المنظر الخيف المفرع الذى تناولت فيه المخطوط الذى تعتقد أنه الشيء الجميل الوحيد فى حياة شاعرها ، ذلك الشيء الذى كانت تظن أنها ساعدت فى خلقه . كانت تعتقد أن ذلك لم يكن فى مقدوره . . .

لى جاليين : هذا حق ، ولكن « كان فى مقدورى » .
بريزون : ألهذا أحرقتة .

لى جاليين : أغلب الظن أن هذا أحد الأسباب التى من أجلها أحرقتة .
بريزون : لكنها دمرت أحسن ناحية فى هذا الرجل ، كانت تمثل لها على الأقل صورة أو لمحة خاطفة للحظة من المجد والحرية .
لى جاليين : أى نعم ، فانى لا أعتقد أن هيدا فكرت قط فى ذلك المخطوط باتجاه فكرى . ان الكلمة المشثومة التى استعمات انما هى « الطفل » بين ثيا ولوفبورج . الا ترى ذلك يا مستر كرونبرجر .

كرونبرجر : لقد كان الطفل طفل المرأة الأخرى يا مس لى جاليين . ولم يكن لها أيضا علاقة بذلك .

لى جاليين : هو هذا . وكانت هى نفسها تحمل طفل تسمان .
بريزون : طفل حقيقى .

لى جاليين : الطفل الحقيقى الذى كانت تنظر اليه بامتعاض .

كرونبرجر : بدأ هذا التنافر يصبح كريها بصورة تتزايد حداثها . لكن ألم تتمتع هيدا فى الواقع بنوع من القدرة على الابتكار كانت الى الافساد أكثر منها الى الانشاء .

لى جاليين : أى نعم . أعتقد أنها كانت تملك هذه القدرة .

كروننبرجر : هو ذلك النوع من القدرة على الابتكارية الهدامة التي كانت عنه اياجو .

لى جاليين : هذا حق . انها لقدرة ، وانها لقوة ، وانها لهدامة .

كروننبرجر : كانوا يتدخلون فى كل شىء . ما كانوا ليتركوا اى شىء حسن على حاله . كان لابد لهم ان يتطفلوا ويتدخلوا ويفسدوا .

لى جاليين : اعتقد ان هذه ملاحظة حسنة تماما .

بريزون : يلوح لى يا مستر كروننبرجر ان هذا يجعلها اكثر شرا مما بدت . ان ما تقول انما يعنى انها كانت ذات طبيعة تجعل منها شخصية هدامة شريرة ، بالرغم من اى مآل تؤول اليه .

كروننبرجر : حسن ، فهنا تقع على ضرب من القوى الهادمة فى صورة اكثر نطقا ، وهو ضرب اقرب كثيرا الى بيكى شارب منه الى اياجو . اقصد القول انه ليس هنالك اى صفة من الصفات الادبية الثابتة سواء اكانت حسنة ام سيئة ، ولكنى اعتقد ان هنالك اناسا لابد لهم من ان يتطفلوا ويفسدوا ، ذلك لانهم لا يستطيعون الابتكار .

بريزون : ان ما ادركت يا مستر كروننبرجر هو : اننا عادة ننظر الى ابسن ، وربما كنا ننظر اليه فى هذه الرواية نظرة ادنى من نظرتنا اليه فى معظم رواياته ، باعتبار انه كان دائما مهتما باظهار الفرد - وغالبا ما يكون امرأة - فى مأزق اجتماعى ، بصورة تجعلك تشعر انه اذا كان المجتمع افضل مما هو ، او اذا كان المجتمع مختلفا عما هو ، اذن لعاش هذا الفرد حياة جميلة ، لا حياة فظيعة مؤسفة او هادمة . والان تقول ان هيدا لم تكن ذلك الفرد المأسور فى ذلك المأزق الاجتماعى الذى وجدت نفسها فيه اصلا ، ولكن كانت طبيعتها هى التى جعلتها شريرة .

لى جالين : اذا كان هذا ما تقصد يا مستر كرونبرجر فانى لا اوافقك .

بريزون : اليس هذا ما قصدت ؟

كرونبرجر : اظن انها وليدة عالم بذاته ، وبما انها وليدة هذا العالم ، فأرى انها لم تستطع يوما أن تدرك ذاتيتها ، ولم تستطع أن تصبح سيدة نبيلة مبتكرة على الصورة التى توهمتها . ويلوح لى بانها لابد من ثمت أن تفسد مرح الآخرين شيئاً ما ، ولابد اذن من أن تتدخل فى الأمور . طلبت التسلط أكثر مما طلبت أى شىء آخر .

لى جالين : كانت تشتهى التسلط والنفوذ .

بريزون : اذن فهذه ليست مسرحية كمرحبة بيت الدمية مثلاً ، التى يعتقد أن ابسن صور فيها تصرفاتنا مع النساء ، أكثر مما صور النساء بما هم عليه .

كرونبرجر : اظن أن هذه هى النقيض التام لبيت الدمية .

لى جالين : وأرى ذلك أيضاً .

كرونبرجر : يقول ابسن فى بيت الدمية « ينبغى أن يكون للنساء حرية ينميها » ويقول فى هذه المسرحية « لا ينبغى أن يكون للنساء حرية ليهدمنها » بعبارة أخرى ، فهذه امرأة تسيء استعمال الحرية ، اذ انها تستعملها بلا أى احساس بالمسئولية الأدبية ، وأرى أنه أفصح هنالك ، تماماً كما أفصح فى مسرحية « البطة البرية » عن عدم تأييده لأن نبث فى الآخرين معرفة بأشياء لا فائدة ولا غناء فيها ولا تعود بفائدة على أى مخلوق .

لى جالين : لقد أحسست دائماً أن ابسن فى مسرحية هيسدا لم

يفكر فى الحقيقة كثيراً من وجهة نظر اجتماعية . أظن أنه كان يصور امرأة من وجهة النظر النفسية . ولقد أحسست

دائما انه لو كانت هيدا قد تزوجت من دبلوماسي مثلا
او من شخص تحيط به مجموعة من الشخصيات البارزة،
فأصبحت سيدة صالون يضم اللامعين من نجوم المجتمع،
وكانت تقابل شخصيات لامعة وتتصل بهم على الدوام ،
وتمكنت من أن تصبح مضيضة مشهورة ، اذن لسعدت
تماما ، ولما كانت حياتها مؤسسية بهذه الصورة .

كرونبيرجر : اتفق معك . فهذا ما أقصد . فلو انها كانت سيدة
عظيمة ، او كانت القطب في جمعية ممتازة حقا . . .

بريزون : اذن لسعدت .

لى جالين : اى نعم . اعتقد انها كانت تستطيع ان تسعد .

بريزون : أدرك هذا . واذن فهي ليست شريرة . وقبل كل شيء
فان اياجو ما كان ليسعد بهذا .

لى جالين : لم اشعر مطلقا بأنها كانت شريرة .

كرونبيرجر : كلا ، لم أقصد ان أبرز هذه المسألة . ولكنها مخربة .

بريزون : لقد أعطيت جوابا واحدا فيما يتعلق بالسبب الذى من

أجله كانت « هيدا » فى نفس الوقت متقدمة على عصرها ،

وكذلك بعيدة عن روح العصر ، اى انها ليست طرازا

مألوفاً ، بل شخصية فريدة ، مستقلة تماما عن غيرها .

لى جالين : عجبا . هى كذلك . كانت صارخة الفردية .

بريزون : لم تكن وليدة عصر او حالة اجتماعية .

لى جالين : كلا . أظن أنها كانت فردا صارخ الفردية .

بريزون : وما خطب الشخصيات الأخرى ؟ ما خطب هذا الدعى

المتعالم ، ذلك الأستاذ تسمان الذى تزوجته ، وكان عاجزا

كل العجز عن أن يجعلها تشعر بأى احساس ؟

لى جالين : اى نعم ، فقد كان لا يلائمها . ولكن تسمان كان غالبا

ما يشخص مهرجا فى الوقت نفسه .

- بريزون : انه رجل دعى ظريف .
- لى جاليين : هو كذلك . وليس رجلا دعيا ظريفا فحسب ، بل لقد منح
أجازات دكتوراة فخرية من بعض جامعات فى المانيا وفى
الخارج . واثك لتعلم أن الناس لا تدرك هذه الأمور . لقد
نالت أعماله استحسانا كبيرا .
- بريزون : ولكنه ضيق الفكر محصور الأفق .
- لى جاليين : حقا انه دعى متعالِم وكان الجمع والتصنيف هما أبوع
أعماله .
- بريزون : اشعر أنه من الضرورى الدفاع عن الاساتذة فى بعض
الأحيان .
- لى جاليين : أظن أنه يجب الدفاع عنه . فهو ليس بالرجل الأحق ،
ولا ينبغى أن يشخص بأنه أحق . انه يضايق هيندا
ويثير أعصابها بدرجة فظيعة لاغير .
- كرونتبرجر : انه يهز أعصابها ، وسلطانها عليه كان هين المنال - وهناك
تلك الجملة الشهيرة « تخيلى هذا ياهيدا » التي
يستعملها دائما .
- لى جاليين : المهم أن هذه عبارة كانت تتكرر باستمرار ، والواقع أن
المعنى الحقيقى لهذه العبارة النروجية هو « فكرى
فى هذا » و « تخيلى هذا » ذلك يبعث قليلا من الخيال
فى العبارة .
- كرونتبرجر : ولكن هذا يعنى أنه كان يتأثر دائما بأكثر الأشياء تفاهة .
- لى جاليين : انه كالطفل . يعيش مندمجا فى أحداث الساعة ، وكان به
نوعا من الحيرة . كان سليم الطوية بصورة غريبة . ولكنه
ظريف . انه رجل مستحب . . .
- بريزون : وما خطب الرجل الآخر الذى خيب آمالها أيضا ، لوفبورج
شاعرها ؟ ما خطبه ؟ كان موهوبا وكان مستهينا .
- لى جاليين : أفكر دائما فى لوفبورج كأنه رجلان .

بريزون : رجلا ن ؟
لى جالين : اى نعم . احدهما حساس جدا ، ذكى ، شاعرى ، خير ،
مهدب . اما الآخر فالشيطان . ويظهر الشيطان عندما
يسكر . ويصبح فى اللحظة التى يبدأ فيها شرب الخمر
كجيكىل وهايڊ .

بريزون : ايهما تحب هيدا ؟
لى جالين : اعتقد ان هيدا كانت تحب الشيطان ، اما مسز الستڊ
فكانت تحب لوفبورج الحقيقى .

بريزون : ولهذا كانت تكره مسز الستڊ .
لى جالين : اى نعم ، اظن ذلك . ولقد قال الناس دائما : كيف يمكن
ان تحب امرأتان مختلفتان نفس الصورة ، نفس الرجل ؟
ويلوح لى انهما لم تحبا نفس الرجل . فقد احبت كل
منهما ناحية فيه . احبت هيدا ناحية واحبت الاخرى
الناحية الثانية .

بريزون : لنفرض ان الظروف اختلفت بعض الشيء ، وانها
استطاعت ان تخضع لوفبورج بالطريقة التى اخضعت بها
تسمان الذى لم يلائمها قط - اكانت اذن خلقت من
طبيعته الشيطانية شاعرا كبيرا ؟

لى جالين : لا ارى ذلك .
بريزون : وبعبارة اخرى ، كان يخيب ظنها اذ ذاك ايضا .
لى جالين : اى نعم ، وانى لارتاب فيمن ا اذا كان لوفبورج عبقرى
حقيقة . ماذا ترى ؟

كرونبيرجر : كل ذلك نسبى . فقد كان عبقرى اذا قيس بتسمان .
لى جالين : كان اكثر استشارة لها فى الحقيقة .
كرونبيرجر : ولكن الا تظنين ان الناحية الخيرة فيه لم تكن تؤثر فى
هيدا .

لى جالين : : هذا صحيح . انك على حق .
كروثيرجر : : وهذا اتحد الاسباب التى جعلتها غير مجدية لثيا .
لى جالين : : هذا صحيح . انك لمصيب تماما . ان الناحية الخيرة فى
لوفبورج ما كانت لتشار .

بريزون : : : كانت تستثير فيه الشيطان .
لى جالين : : : هو هذا .
بريزون : : : اما تسمان فلم يكن به شيطان .
لى جالين : : : كلا ثم كلا . لا شيطان بأية صورة . ما كان ليعرف على
البتحقيق معنى ذلك .

بريزون : : : ولكن ما خطب براك ، ذلك الرجل الهادى المتمرس فى
اسباب الحياة والذى وجد نفسه فى المكان الصحيح ؛
ذاك الذى يفرض نفسه على هيدا عندما يراها فى مازق
ويجذرها عند اللزوم ، وعند ذلك يبادر بأن ينتزع منها
ضربة ما . ما خطبه ؟ أهو مثال القوة التى تخلقها
الظروف لاغير ؟ أهو العرف يتغلغل هنالك ؟

لى جالين : : : كلا ، يبدو لى أنه كان رجلا يحيا حياة رغدة وأنه قضى
على مستقبله وأما الآن فهو يعيش بشعور غيره فى إشار
ومخبة ، وأرى أنه كان دائما يميل الى هيدا ، حتى قبل
زواجها ، ولكنه كان حذرا للغاية فى علاقاته معها حتى
أصبحت بالفعل مسر تسمان .

بريزون : : : والآن ولما حدثت لها متاعب صار على استعداد لأن
ياخذها لنفسه أليس كذلك ؟ انه يقول ما معناه « انك
الآن لى » .

لى جالين : : : اى نعم ، فان جميع مشاهدهما كمباريات الشيش .
فانهما ينتميان لنفس البيئة ، وهذا هو السبب فيما
بينهما من تحالف .

كرونيبرجر : هذا احد الاسباب . انه يمثل البيئنة التي خرجت هي
منها ، وهي ، كما لا ازال اعتقد ، اكثر البيئات بلائمة لها ،
نفع انها ليست سعيدة فيها ، او هي اتزى انها ليست
سعيدة .

بريزون : ومع هذا فانها عندما تأنس ان براك يستطيع ان يجعلها
تفعل كل ما يحلو له — ان يتخذ منها حظية اذا اراد .
لي جاليين : ما كانت لتفعل ذلك .

بريزون : ذلك عندما اطلقت على نفسها الرصاص .
لي جاليين : ومن هنا اعتقد ان فكرة « الشرف له التزاماته » تصبح
قوية جدا ، وتعطيها نوعا من الشهامة والشجاعة لا معدى
للمرء من الاعجاب الشديد به . ومنع هذا ، ليس من
السهل ان يطلق الانسان على نفسه الرصاص . او
اتنى انا على الأقل ارى ان الامر ليس سهلا .

بريزون : انت تظنين اذن انها استمدت هذه الشجاعة لان تعسكها
بالتقاليد بمعناه الوضعي ، بل اقصد شغورها بالجدارة
والوقار والحشمة .

لي جاليين : تدقيقها وتحريها ان تصنع ما تريد في احكام شديد .
بريزون : هذا قدر وشر . هذا موقف لا تقبله امرأة محترمة قط .
الموت افضل .

لي جاليين : اى نعم . هذا حق .

كرونيبرجر : لست على يقين من ان الانتحار امر ضرورى لازم . انها لم
تلعب أوراقها الأخيرة بعد . لا أجد عيبا في هذا ، ذلك
بأنى اعتقد انها معقدة الشخصية ، ولكن اعتراضى الوحيد
الحقيقى على المسرحية هو ان المواقف الهامة قد بدأت
تتكدر كلها في الفصل الأخير .

بريزون : ١٠١ . ولكنك تذكر ملاحظة براك « الناس لا يفعلون ذلك » .
كرونيبرجر : « حسن » فهذه ملاحظة جيدة « الناس لا تفعل مثل هذه
الأمور » وهذه أيضا ملاحظة جيدة من ملاحظات ابنن ،
ترد على النقاد الذين يزون أن الانتحار إنما هو أمر مؤس
للغاية : « واني لأرى أن ذلك أمر أدى إلى نهاية مفعمة
جدا » .

لى جاليين : لا أرى أن ذلك من الضروري . فربما أنها لم تمثل كما
يجب .

كرونيبرجر : ابنن ، لو فبورج يبذل غاية الجهد في مخطوطه ، ثم يفقده .
وفي هذه الأثناء تمرض العممة ، ثم نرى مسز السستد
وجيبتها ملىء بالمراسلات التي تذهب إليها إلى غرفة أخرى
حيث تستطيع أن تتخاطب مع براك .

لى جاليين : أرى أن هنالك أسبابا كثيرة لحدوث هذه الأشياء جميعا .
والواقع أن أحداث التمثيلية تقع في يوم واحد : وأن
ذلك لجزءا من بلاغة الإيجاز عند ابنن ، وأظن أن هذا
مما يشق عليك .

بريزون : بلاغة الإيجاز . والآن أخبرني يا مسز لى جاليين : لقد
كتبت عن ابنن وترجمت عنه ، مثل رواياته ، وعلى
الأرجح تعرفين عنه أكثر مما يعرف أي شخص آخر .
يجب أن نسأله : كيف يستطيع أن يخلق مثل هذا الأثر
الهائل بمثل ذلك الإيجاز ؟ فانه كمن يصبو بندقية .
يريد أن يجعلك تشعرين بأحاسيس شخصية ما ، ثم
يضرب الهدف . كيف ذلك ؟

لى جاليين : هذا صحيح . حسن ، أن تحليل ذلك لأمر عسير للغاية .
أعرف أن جميع مسرحياته قصيرة جدا . ومع ذلك فانك

عندما تدنو نحو نهاية احداها ، تشعر كما لو انك كنت تعرف حياة كل شخصية من شخصياتها .

بريزون : ولكن ماهو الاحساس الذى يداخلك عند تمثيل حياة امرأة مثل هيدا جابلر ؟

لى جالين : يلوح لى بوصفى ممثلة ، أن ما يجعل تمثيل روايات ايسن أمرا مشوقا للغاية ، انما هى الأشياء التى تحدث وانت فى الواقع لا تتكلم ، ذلك النوع من الحياة الداخلية للشخصيات .

بريزون : هل كان يوحى اليك بذلك ؟

لى جالين : انه يوحى بذلك بألف من الطرق . ولهذا يجب أن تعرف كل تفاصيل التمثيلية عن قرب . والحياة الداخلية التى ينبغى عليك أن تبرزها دائما على المسرح ، سواء اكنت متكلمة ام كنت صامتة ، انما هى فى الحقيقة أهم جزء فى اخراجك .

بريزون : هذا موضوع فنى ، ولكن يعتمد على هذه النقطة : هل كان ايسن يكتب فى نص المسرحية ما يجذب عمله ؟ هل كان يخبرك ماذا تفعلين بينما انت صامتة ؟

لى جالين : ليس كما يفعل اغلب المؤلفين المسرحيين .

بريزون : ولا بالقدر الذى ينهجه مؤلفو المسرح الحديث .

لى جالين : ان كل ما قاله مثلا قبل أن تحرق هيدا المخطوط قبل النهاية بقليل جدا هو هذا : « تذهب الى المكتب ، تتناول المخطوط ، تتوجه الى الموقد وتلقى به » . هذا كل ما يقول .

كرونبرجر : من الأسباب التى تجعل من شخصياته أو من أغلبها شخصيات حقيقية هو أنه بينما يعطيك شعورا تاما بالصورة التى هم عليها ، لا يضايقك بالتفاصيل التى

تجعلك تتوقف وتتحير . أصبح هذا أم لا ؟ ان شخصياته عبارة عن شخصيات تتحرك دائما متمشية مع الاطار العام . اليست هي كذلك ؟

لى جاليين : اى نعم . هذا صحيح تماما .
بريزون : حسن . أنت تشيرين الى الشخصية وحسن اداء البناء الدرامى . ان شخصياته سليمة وحقيقية ، ولكنه يعرف أيضا كيف يؤلف المسرحية . ويلم اطرافها .

لى جاليين : اى نعم ، ويا للعجب .
بريزون : لم اذن ، من جميع مسرحيات ايسن ، تسترعى هيدا جابلر التفكير فيها اكثر من غيرها ؟ ماذا تحمل فى تضاعيفها حتى تجعل من هذه الشخصية مفتاح ايسن كما قلت ان هاملت مفتاح شكسبير ؟

لى جاليين : ماذا تقول فى ذلك يا مستر كرونبرجر ؟
كرونبرجر : لست اعرف ان كنت سوف تؤيدىنى ، وأنت الشخص الوحيد ولاشك الذى ينبغى له أن يعرف . انى لاقول أنها فى الغالب أهم شخصية للمرأة ، كتبت فى الستين السنة الماضية ، ذلك فيما يتعلق باكتمال نواحيها وقابليتها للاخراج .

بريزون : وفيما يتعلق بتعقيداتها . اقصد انك لا تستطيعين الوصول الى أعماق هذه الشخصية .

لى جاليين : هذا صحيح . فانك لا تستطيع أن تصل الى أعماقها . لقد مثلتها أربع سنين ، وكنت فى كل مرة أقوم بتمثيلها أشعر لماذا أنا افكر فى هذا - لماذا لم أشعر بذلك من قبل ؟ انك لا تصل أبدا الى أعماقها .

بريزون : وفيما يتعلق بتمثيلها ؟ ألا تزال حية على المسرح ؟
لى جاليين : عجباً . انها لحية للغاية .

- بريزون : ولا يزال الجمهور يتأثر بها في المسرح ؟
- لى جاليين : بصورة هائلة ، ان لها تأثيرا هائلا على المشاهدين .
- بريزون : اكثر من مسرحيات ايسن الأخرى .
- لى جاليين : حسن . لا أستطيع القول بأن لها تأثيرا أكثر من مسرحيات ايسن الأخرى ، ولكنها ولا شك تأتي في المرتبة الأولى .
- ان « للأشباح » أيضا منزلة عظيمة ، ومما لا شك فيه ان جميع مسرحيات ايسن الكبيرة باقية على الزمن .
- بريزون : ربما كان في هيدا شيء ما ، أعنى في التعقيد الظاهر في شخصيتها وفي مصيرها المؤسى ، يضاف عليها لونا عميقا من الأسى .
- لى جاليين : حسن ، فذلك لأنه ربما كان الناس دائما أكثر شغفا بالنساء الشدييدات المراس أكثر منهم بالنساء الوديعات الخيرات .
- بريزون : حسن ، فأنت تعلمين ان أحد كتاب الروايات الفرنسيين قال ذات مرة ان أى انسان يستطيع ان يكتب رواية قيمة عن امرأة شريرة ولكن قلة من الكتاب من يستطيعون ان يكتبوا رواية جيدة او مسرحية عن امرأة طيبة .
- كرونتبرجر : ذلك بأنها شخصية واقعية ، وأرى أن ذلك يرجع الى قلة العقد الاجتماعية وندرة مشاهد المشكلات المسرحية فيها ، تلك التى يعنى بها الكاتب .
- لى جاليين : اظن ذلك صحيحا .
- بريزون : وانك لتأنس ذلك في جميع المسرحيات الكبيرة ، وتشعر به .

التياؤة على النساء

لجون سوارق مل

جون ستيوارت ميل

(١٨٠٦ - ١٨٧٣)

كان الابن الاكبر لجيمس مل ، وهو فيلسوف ومؤرخ واقتصادي اسكتلندي . وقد قرأ جون مؤلفات أفلاطون وديموثنيس في سن مبكرة . وقبل أن يبلغ عامه العشرين كان من أقطاب مذهب « المنفعة العامة » في الفلسفة والأخلاق . وكان يطبق مبادئ الاقتصاد في دراساته الاجتماعية . ومن أحسن كتبه : « آراء في الإصلاح البرلماني » و « مذهب المنفعة العامة » و « الحكومة النيابية » .

وكان مل من أنصار الحزب الراديكالي التقدمي ، ومن كبار المدافعين عن حق المرأة في الانتخاب .

تعريف بالكتاب

كتب چون ستيوارت مل رسالته هذه ليستنكر فيها استرقاق المرأة بالحجة المنطقية وشواهد الواقع من - بواذر زمانه . وكانت المرأة اشبه شيء بالرقيق من الوجهتين القانونية والدستورية حين كتب هذه الرسالة ، لأنها كانت تحرم حقوق التعامل الحر في معظم البلاد الغربية ، ولم يكن لها كثير ولا قليل من الحقوق الدستورية في تلك البلاد .

فكتب فيلسوف الديمقراطية رسالته هذه ليطلب لها المساواة التامة في حقوق التقاضي والتشريع ، أو في حقوق القانون والدستور على العموم .

ولم يبن الفيلسوف دعوته على نفى الفوارق بين الرجل والمرأة ، لأنه يتكلم في الرسالة عن الرجل كأنه أقوى الجنسين . ولكنه كان يستنكر في عصر الحرية أن تبني الحقوق الاجتماعية على أساس القوة ولو اعتذر المعتذرون لذلك باسم المصلحة العامة ، ويضرب المثل بالمصلحة العامة في زراعة القطن واسترقاق العبيد ، فليس من الجائز أن يقال أن المصلحة العامة تستلزم زراعة القطن ، وأن الرجل الأبيض لا يصح أن يترك عمله ليشتغل بهذه الزراعة مع وجود العبيد السود ، فينبغي إذن أن تفرض العبودية على الزراع السود لحماية المصالح القومية التي تتوقف على الزراعة القطنية .

وإذا كان هذا الاعتذار باسم المصالح القومية غير مقبول في عهد الحرية الإنسانية ، فليس بالمقبول في هذا العهد أن يقال أن المعيشة المنزلية مصلحة عامة وأن الرجل لا يغنى فيها غناء المرأة ، فينبغي إذن أن تضطر إلى المعيشة المنزلية بإرادة الجنس الآخر .

ولا ينفي ستيوارت مل فوارق الجنسين غير فارق القوة الجسدية، ولكنه يقول أن توضيح هذه الفوارق ليس بالمستطاع مع بقاء الأحوال الحاضرة على ما هي عليه بين الرجال والنساء ، وأن الفوارق التي يتحدث عنها الأطباء لا تصلح اليوم للدلالة على الفوارق النفسية لأن الطبيب مختص بشئون الصحة الجسدية ولا اختصاص له بشئون الفكر والخلق ، وحكمه فيها كحكم غيره من أصحاب الصناعات الأخرى ، فليست أقواله عن فوارق التركيب حجة للقائلين بوجود الفوارق بين الجنسين في مسائل الأخلاق ومسائل التفكير .

وأيا كان فصل الخطاب في هذا الخلاف فليس تقرير هذه الفوارق الخلقية أو الفكرية من عمل التشريع ولا من وظيفة القانون . فإذا كان العمل الممنوع مما تعجز عنه المرأة بطبيعة تكوينها فلا معنى لتحريمه عليها بنص القانون ، وإذا كان من الأعمال التي تقصر فيها المرأة ويتفوق فيها الرجل فلا معنى كذلك لتقرير الفوارق فيه بالنصوص القانونية ، لأن المنافسة الحرة كفيلة بإعطاء كل جنس حقه ورد كل جنس إلى مكانه فيما يتعلق بتلك الأعمال . وإنما تضار المرأة أكبر الضرر في مصالحها الخاصة ومصالحها العامة إذا حيل بينها وبين القيام بما تستطيعه من أعمال شتى تقدر عليها كما يقدر عليها الرجل أو أعمال مستقلة هي أقدر عليها منه وعندها من الكفاية الطبيعية لها ما ليس ميسورا لديه . . فإذا ارتفعت عنها قيود الفوارق المفروضة بنصوص القانون والدستور ظهرت كفايتها هذه ولم يدع الأمر إلى وضع الحدود التي تبين مدى الفوارق في سائر الكفايات ، لأن تبينها سيتم لا محالة بحكم الطبيعة أو بحكم التجربة العملية في الحياة العامة .

وقد خطر لنقاد « مل » أنه استرسل في الدعوة إلى المساواة التامة بين الجنسين بتأثير حبه العميق لقرينته الفاضلة « هارت هاردي » التي عرفت باسم مسز تيلر وتزوج منها مل وهو في الخامسة والأربعين وقال عنها أنها أعظم منه ومن كارليل صديقه الحكيم المشهور ، ولا ينكر (مل)

تأثير زوجته في صقل أفكاره وتهذيب شعوره ، ولكنه يقول بحق أن قواعد تفكيره قد تأسست وتمكنت قبل التقائه بتلك السيدة الفضلى ، وأن ميله الى مساواة المرأة واشمئزازه من الجور عليها كانا من جملة الأسباب التي حبيته الى تلك السيدة وقربت بينها وبينه ودعتها الى استجابة حبه وقبول صداقته - فربما استلهم من حياتهما الزوجية كثيرا من دلائل المساواة والكفاية وكثيرا من حقائق الفوارق بين الرجل والمرأة ، ولكنه جمع الفكرة في لبابها قبل التقائه بها ، وشرع في كتابة الرسالة في سنة ١٨٦١ ، أى بعد وفاتها بسنوات ثلاث ، ولم ينشرها قبل سنة ١٨٦٩ ، إذ كان قد مضى على وفاتها نحو عشر سنوات .

وجلية الأمر أن بواعث العصر التي أوحى الى الفيلسوف آراءه في الحرية الانسانية هي بعينها تلك البواعث التي أوحى اليه آراءه في تحرير المرأة والغاء قيودها القانونية . وقد تناول برتراند رسل هذا الموضوع وهو يكتب عن الفيلسوف في صورته القلمية من الذاكرة ، فقال عن البواعث التي سنوغت تلك النظرة الجديدة الى المرأة ما فحواه أنها تتلخص في الانتقال من النظرة البيولوجية الى النظرة الصناعية قال : « ان الصناعة لا تهتم بالفصول وأدوار العام كما تهتم بها الزراعة ، والديمقراطية قد بدلت شأن الأسر وأضعفت شعور الاستمرار في السلالة ، وقد كان نابليون يعمل لتوريث ابنه العرش بعد موته ، ولكن لينين وستالين وهتلر لم يشعروا بمثل هذه الرغبة ، وأخال أن الرضى بمساواة المرأة انما تأتى من أنها الآن - لا ينظر اليها على ضوء الفوارق البيولوجية ، ويلاحظ (مل) أن النساء الوحيديات غير المستعبدات في انجلترا هن أولئك العاملات في المصانع ، ولا ندرى كيف نسي الملكة فكتوريا في هذه المناسبة ! ولكنه على صواب في ملاحظته لأن العمل في المصنع - خلافا لولادة الأطفال - عمل يساوى عمل الرجال ، ويبدو أن تحرير المرأة ، مهما يبلغ من الاعجاب بفكرته ، هو في الواقع جزء من تطور اجتماعى واسع يؤكد جانب الصناعة على حساب جانب الزراعة ، كما

يؤكد جانب المصنع على حساب دار الحضانة ، وجانب السلطة على حساب جانب القوت وتدير المؤنة ، ويخطر لى أن العالم قد تطوح بعينها فى هذه الناحية ولن يعود الى السواء والاعتدال حتى تهوذا السمات البيولوجية فى حياة الانسان الى الذاكرة ، ولكننى لا ارنى موجبا للاعتقاد بأن عودة هذه السمات الى الاعتبار انما تتحقق بغنودة النساء الى الاسترقاق .

وهذا التعقيب من الفيلسوف المعاصر على آراء استاذة وصديق أسرته فيلسوف العصر الذاهب هو الفيصل الصادق بين العصرين وبين تقدير آراء ستيوارت مل بالنسبة لما تقدمها وتقدير آرائه هذه بالنسبة لما خلف بقدها .

فمهما يتطرف ستيوارت مل فى مجارة العوامل الصناعية فهو أصوب رأيا وأصدق حكما من أسلافه المفكرين الذين دارت آراؤهم وأهواؤهم على محور واحد : وهو استرقاق المرأة وحرمانها حقوق القانون والدستور . فلا يمتري اثنان اليوم فى صواب فيلسوف الديمقراطية حين تكون مسألة المرأة مسألة استرقاق أو تحرير .

أما تقدير آراء (مل) بالنسبة لما خلف بعده فهي أجوج ما تكون الى التعديل كلما دعا الأمر الى الرجوع بالعوامل الصناعية الى الاعتدال ، أو الى تذكير العالم بتلك العوامل البيولوجية التى يقول رسل انه أوشك أن ينسبها .

ومن الزيغ والانحراف عن طبائع الأشياء أن تبلى حقوق المرأة على أساس التنازع بين ضدين كما بنيت أكثر الحقوق الدستورية التى طال عليها النزاع منذ استهلال عصر الصناعة واشتداد الخلاف بين أصحاب المصانع والصناع وبين مالكي الثروة والأجراء . فاتما تستقيم حقوق الجنسين على أساس « توزيع الوظيفة » بينهما ثم على أساس التعاون بينهما فيما يصلح له كل منهما ولا يصلح له الآخر مثل ضلحة أو يستعد

له مثل استعداده ، وكل شركة بين اثنين فانما حدودها مصلحة هذين الاثنين ولا زيادة ما لم تكن فيها مضرة بسواهما . وليست كذلك مصلحة الرجل والمرأة أو مصلحة الجنسين في شركتهما الاجتماعية . فتلك شركة لها حدودها من مصلحة أخرى أعم وأبقى من مصلحة الشريكين ، وتلك هي الحدود المفروضة على الآباء والأمهات .

عباس محدود العقاد

الحوار

(١) ت . ف . سميث - (٢) هيلين هيات وولر - ليمان بريزون

بريزون : لقد تنبّهت عندما أعدت قراءة مقالة مل هذه ، الى أن الطريقة التي يتعامل بها النساء والرجال من الأمور التي يأخذها الناس أخذهم للأمور المسلم بها . ولا عجب في أن ما واجه به مل عقائد عصره من مخالفة ذلقة عميقة تكاد تبلغ مبلغ الفظاظة ، التي خلقت من حولها هذه الضجة كما حدث . ومع ذلك فلست أدري : ألا يمكن اننا نفترض الآن فرضا زائفا ، كما فعل الرجال الذين عاشوا قبل مائة سنة . لقد كانوا يفترضون أنهم يعاملون النساء معاملة حسنة ، في حين أن مل قد أظهرهم في صورة القساة الذين لا يحفلون بمشاعر غيرهم من الناس .

سميث : أستطيع القول بأن مسز وولر سوف تقول شيئا عن ذلك عندما تحين لها الفرصة . ولكن قبل أن ننصف النساء ، أحب أن ننصف الرجال . حصلت على عدد من الأعداد المتداولة من مجلة « لوك » ، ولقد قدزتك « لوك » تقديرا حسنا يا دكتور بريزون ، واستحسننت استحسانا كبيرا هذا البرنامج الذي أخذنا بضلع في بدئه مع غيرنا منذ أحد عشر عاما . أما صورتك هذه ، فصورة تبدو فيها صغيرا جدا على أية حال .

(١) T.V. Smith أستاذ الشعر والسياسة والفلسفة بجامعة سيراكوز ومؤلف

كتاب « أسلوب الحياة الديمقراطي » .

(٢) Helen Hyatt Waller مديرة التحرير بجريدة « نيويورك هيرالد تريبيون »

- بريزون : هذه الصورة ولا شك اطراء كبير .
- سميث : ارى انها تحية لمجلة لوك ، كما انها تحية للبرنامج الذى قدرته بهذه اللفتة الجميلة .
- بريزون : أشكرك شكرا جزيلا يا مستر سميث لاجراجى . آمل أن يكون الدكتور كروثرز قد اطلع عليها .
- سميث : اعتقد انه فعل .
- بريزون : أتراك تذكرت مستر مل وأنصاف النساء يا مستر سميث !
- سميث : سوف اعود الى ذلك . فهذا الكتاب من أهم الكتب فى كل العصور . لقد اثر فى نفسى تأثيرا عميقا وباقيا ، ذلك بأن مل دلل فى أول صفحة من صفحات هذا الكتاب - وهذا ما يسعى اليه - على أن المبدأ الذى ينظم العلاقات الاجتماعية القائمة بين الجنسين انما هو خطأ فى ذاته ، وأن هذا أحد العوائق الرئيسية التى تقف فى سبيل التقدم الانسانى ، وأنه ينبغى أن يستعاض عنه بمبدأ من المساواة التامة ، لا يسمح باعطاء سلطان ومزايا من ناحية أو حرمانات من ناحية أخرى . هذا عماد القوة فى العلاقات الانسانية ، مما جعل هذا الكتاب يطبع فى نفسى أثرا عميقا .
- وولر : أظن أن الكتاب يصبح أكثر تحديا ، عندما يعمل مل على اثبات أن المساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء ، ليس لها من مصدر الا قانون الأقوى .
- بريزون : يثبت أم يقول يا مسز وولر ؟ أتريد أن هذا حق ؟
- وولر : أرى أنه أتى الأمرين . فهو يقول مثلا انه لا توجد طبقة أخرى من التابعين قد تشوهت شخصياتها تماما واختلت النسبة الطبيعية بين مقوماتها من جراء علاقتها بأسيادها .
- بريزون : أسيادها أولئك هم أزواجهن وآباؤهن ؟

- وولر : نعم ، ذلك ما يبدو بوضوح .
- بريزون وعلى الأخص أزواجهن .
- وولر : أظن أنه تكلم عن الرجال والنساء من حيث جميع العلاقات . ولكنى أود أن أسألكما أيها الرجلان عما تريان فى تقرير مل هذا : يقول . ان الغالبية من الجنس الخشن لا تستطيع حتى الآن أن تقبل فكرة الحياة مع ند من الجنس الناعم .
- سميث : حسن ، وانى لاتساءل هل تقبل النساء فكرة الحياة مع ند من الجنس الخشن أكثر مما يقبل الرجال ؟
- وولر : حسن ، انهن لم تتح لهن الفرصة بعد لمعرفة ذلك .
- سميث : من ذا الذى يود المعيشة مع ند ؟
- بريزون : أتفترض يا مستر سميث أن امرأة نشأت فى العصر الفكتورى المجيد - ذلك النوع من النساء الذى عرفه مل وكتب عنه - كانت تفضل الحياة مع من هم أرفع منها مكانا ؟
- سميث : يخيّل الى أنهن كن يفضلن الحياة باعتبارهن الأرفع فى الحياة مع من هم أرفع .
- بريزون : أيداخلك بعض الشك يا مسز وولر فى حقيقة الاتهام الذى يوجهه مستر مل ؟
- وولر : آمل أن أكشف عن ذلك .
- سميث : كلا ثم كلا ، فانى استدرج مسز وولر . أرى ان نظرية مل مصيبة تماما ، الا انها أكثر سعة مما صورها ، فانه يرى أن الرجال يطلبون السيادة . وأنا أرى أنه امر انسانى أن يطلب الانسان السيادة . فليس من رجل او امرأة عاش فى أى زمان ، يستطيع أن يحتفظ بروحه المعنوية من غير أن يرى أو ترى هى أنه صاحب السيادة على شخص آخر فى ناحية ما .

وولر

: ولكن ألا تستطيع أن تحصل على هذا الشعور من علاقاتك مع الناس باعتبارهم أناسي ؟ وهل يلزم دائما أن تأتي نتيجة هذه العلاقة بين الرجل والمرأة ؟ أسلم بأن الشعور بالوحدة والوحشة الذي يصيب الرجل الذي يعجز عن أن يذهب الى المنزل فيجد زوجة ترى فيه سيد الخليقة وتاجها . . . عجزه عن وجود هذه العابدة قد تكون له بعض الآثار الضارة على عمله ، لكن من جهة أخرى ، ليس يعوق الرجل عن أن يؤدي عمله على أحسن وجه ، أن يذهب دائما الى بيته وهو يشعر أنه ملك .

بريزون

: أعتقد أن الزوجة تحتل المكان الذي كانت تحتله الأم في المرحلة الأولى من حياة الإنسان ؟

وولر

: وبصورة أعم وأهم ، أقول أن المجتمع الانساني - وأقول هذا مع مل - يخسر خسارة كبيرة . فالرجل قد لا يفعل أحسن ما يستطيع ، عندما يحصل على دفع هذه المكانة المنزلية في المنزل حيث يسود ، والمرأة لا تسهم بقدر ما تستطيع في النطاق العام للمعرفة الانسانية ، اذا كان عليها أن تبذل قدرا كبيرا من طاقتها الابتكارية من أجل أن تفعل فقط ما يريد الرجل منها أن تفعله .

بريزون

: لننظر يا مسز وولر الى ماجريات الأمور قبل تسعين سنة ، ولنوازنها بما يحدث في أيامنا هذه - حتى ولو كان ما افترضت عند بداية حديثي ما يزال قائما في عقلي . لم يكن للنساء حقوق في التملك ، ولا حقوق سياسية ، ولم يكن لهن حقوق على أبنائهن . فاذا ورثت المرأة ملكا آل الى زوجها ، من غير أن يؤخذ رأيها . ولم تكن المرأة لتمتلك شيئا مطلقا الا بناء على عقد خاص .

سميث

: لم يكن لها حق الطلاق . .

بريزون : لم يكن لها على الاطلاق حقوق شرعية أو سياسية . والآن يقول مل أنه عليك أن تتخلص من هذه الحرمانات الشرعية . قال بأن الجمعية الانسانية ، بفرضها هذه الحرمانات النوعية على ما يزيد على نصف الجنس البشرى - إنما تفرض قيودا تعوق الناس عن أداء ما يستطيعون من أعمال بقوتهم وقدرتهم وكفايتهم ، وإنك إذا نحت تلك القيود ، فإن كل شيء سوف يسير في مجراه الطبيعي . ولقد كانت هذه القيود قائمة ، اليس كذلك ؟

وولر : كانت قائمة .

بريزون : ولقد حرقت النساء ؟

وولر : أى نعم .

بريزون : ولكن هل كان النساء بغير سلطان في منتصف العصر الفكتورى ؟

وولر : حسن . وهذا يصل بنا الى النقطة الرئيسية عند مل ،

إنك ان عدمت الحرية فإنك تنشُد السلطان . وهو يبين

الى أى مدى يؤثر هذا الأمر تأثيرا مفسدا ، لا فى أخلاق

الرجل أو فى أخلاق المرأة فحسب ، وإنما فى المجتمع كله .

سميث : أى نعم ، فليس هناك توازن بين المسئولية والسلطة .

فإنك أن كنت ذا سلطة بلا مسئولية ، كما كان الرجال

من الناحية القانونية ، فإنك عندئذ تسبب استعمال

سلطتك . وإذا كنت ذا مسئولية بدون سلطة كما كان

النساء ، فإنك إذن لا تستطيع أن تنهض بمسئولياتك .

ولهذا فإن العلاقات التى ينبغى أن تقوم على أساس من

مبادئ العدل و « الشرف له التزاماته » والواجب ،

كلها فسدت نتيجة لعدم وجود ارتباط بين السلطة

بطريقة متساوية بين الجنسين .

دولر : أود أن أعود ثانية الى الفكرة التي اثرتها لحظة يامستر
بريزون . أنك تشير الى أن هذه الحرمانات الشرعية
قد أزيلت جميعا ، ومع ذلك فان عدم المساواة ما زال
قائما بين الرجال والنساء .

بريزون : أنا لم أقل بذلك . لقد كنت أتساءل هل هذا هو ما حدث
أم لا .

دولر : حسن ، فأنا أسلم بهذا ، وأريد أن أقول بصراحة تامة
اننى لو لم أقرأ مل ، لكنت فى مركز دفاعى فى هذه
الندوة ، فلقد كنت أحسب أن للنساء مساواة تامة
بالرجال فى ظل القانون ، وأنهن لم يكن يستعملنها ، ولولا
قراءة مل لظننت أن الأمر بيد النساء وأنهن لم ينتهزن
الفرص التي أتاحت لهن .

بريزون : بعبارة أخرى نقول ان ما طالب به مل قد تحقق .

دولر : لقد حدث - من الناحية القانونية .

بريزون : ان النساء على اليقين لسن كما كن من حيث سوء
الوضع ، فقد سمح لهن باتخاذ المهن . اليس كذلك ؟

دولر : اى نعم .

بريزون : لهن نفس الحقوق فى محاكم الطلاق كالرجال ، ويتمتعن
بالمساواة فى دخول الميدان السياسى .

دولر : اى نعم ، لهن هذه الحقوق ، ولا يستعملنها باعتبارهن
مساويات للرجال . لماذا ؟ هنا يصبح مل مشوقا للغاية ،
لأنه يحاول ان يبين كيف ان طبع النساء - من حيث
شخصياتهن ، وتكوينهن الكلى - قد شوه نتيجة للحالة
الاجتماعية التي ولدن فيها .

سميث : كان مل الوريث ، كما سوف تذكر ، لمبدأ المنفعة العامة ،
ذلك المبدأ العظيم فى الفلسفة ، كما كان مل وريثا لحركة

الإصلاح كلها التي تدعو إلى نشر الحرية على نطاق واسع
عن طريق تطبيق المساواة . عندما كان في العشرين أو
في الواحد والعشرين من عمره ، كان منغمسا في حركة
الإصلاح برمتها ، ولقد سأل نفسه ذات ليلة بعد حضوره
اجتماعا ، أثار فيه صخبا . « لنفرض أنني استيقظت في
الصباح ووجدت جميع الإصلاحات التي طالبت بها قد
تمت فعلا ، فهل أكون سعيدا ؟ » وانك لتعرف أن
السعادة إنما هي محك الفكرة النفعية في الحياة الطيبة ،
وإنبغى له أن يجيب « كلا ، ما كنت لأسعد » . ولقد
أصابه انهيار عصبي نتيجة لهذا الكشف . والآن يتضح
أن مل كان ملتزما في هذه المقالة عن النساء ، ذلك العنصر
عينه من عناصر الإصلاح . كان شغوبا بتوسيع نطاق
الحرية كما تعلم . والحرية لا يمكن أن يتسع نطاقها
إلا بالتوسيع في أصول المساواة . واختار النساء لأنهن
كن أكثر من عوملن من أفراد المجتمع معاملة مختلفة في
عصره باعتبارهن طبقة . ربط فلسفته برمتها ، وحبسه
للحرية ، بقضية النساء ، من أجل أحداث إصلاح ، لو
أنه تم . كما قدر له أن يتم ، لما ترك مل سعيدا .

بريزون : نستمر مع مل لحظة يا مستر سميث . — أكان مل الرجل
الذي يمكن أن يكون سعيدا في أي مجتمع ؟ إن اتخاذ مل
النساء موضوعا أساسيا في محاولته لإصلاح المجتمع
باسم الحرية ، إنما كان أمرا متعلقا بمزاجه الخاص . لم
تكن علاقاته الشخصية بالنساء عادية .

سميث : حسن ، فانه لم يتزوج حتى بلغ الخامسة والأربعين .
ثم تزوج بامرأة كان صديقها الصدوق زمنا طويلا ، إلا أن
زوجها كان موجودا ، وكانت علاقته به علاقة معروفة
جيда فيما يبدو .

بريزون : وكان هذا الى حد ما أمرا فاضحا في نظر كثير من أصدقائه .

سميث : حسن ، فهذا حدث في العصر الفكتوري . لكن كان مل

بمعنى ما ضعيفا في موقفه ازاء العلاقات الاجتماعية المبنية على القوة . لا أقصد بهذا اطراء ، ولكن أقصد به أيضا أن يكون وصفا مل . ان حياته مع هذه المرأة ، مسز « تيلور » ، التي أصبحت زوجته بعد ذلك بزمان طويل ، انما كانت احدى المثل العليا لكل الأزمان في نظر الرجال والنساء على السواء . لكنه كان يشعر بعظم الخسارة التي خسرها العالم ، ذلك بأنها لم تستطيع أن تحصل على الاعتبار الذي يجب أن تحصل عليه ، فقط عن طريقه وحده .

وولز : انه لأمر مشوق أن نعرف كم توجد كتب أخرى ، كم

توجد ماثورات غير ذلك ، الفضل الثاني فيها الى النساء .

بريزون : حسن . ان مل قد عنى عناية خاصة بدراسة هذا

الموضوع . أراد أن يعرف كم من الرجال قد أخذوا

فكرات كانت عند النساء ، تلك الفكرات التي لم تكن

النساء بقادرات على تنميتها والتوسع فيها لأنه كان

ينقصهن المزان والتعليم ، ولكن الرجال لأنهم متعلمون ،

قد استعملوها وأخرجوا منها كتبا عظيمة . لقد قال

عنهن الشيء الكثير فيما يتعلق بنفسه . هل شك

أصدقائه في التأثير الذي كان لمسز تيلور عليه ؟

وولز : أى نعم ، ولكن ذلك كان أمرا لا مندوحة عنه في ذلك

الوقت ، بسبب الوضع الاجتماعى كله ، الذى جعل

الناس ينظرون مشدوهين الى هذه العلاقة . غير أن

الوضع هنا يا مستر بريزون ، هو أكثر الأوضاع دعوة

الى التساؤل ، وهو أنه كم كان يصبح المجتمع أكثر ثراء ،

إذا سمح للنساء أن ينمىن قدراتهن الفكرية ، وشخصياتهن

حتى يبلغن في ذلك مبلغ الرجال . أنا لا أدافع الآن عن النساء لأحصل على شيء آخر يرضيهن . لقد اخترت وجهة نظر مل في أن ثروة المعرفة الانسانية والادراك الانساني انما نقصت الى النصف ، طالما كان النساء محمولات على هذا النوع من تضييع الوقت الذي دفعن اليه .

سميث : تعرفين يا مسز وولر أن هذا يحيرني كثيرا . لقد نافع مل عن الإصلاحات الشرعية التي تمت .

بريزون : عنها جميعا !

سميث : لم يخف على مل حقيقة أن هذا سوف لا يعالج جميع أمراض المجتمع . ولكن لماذا لم تؤد المساواة في ظل القانون أكثر مما أدت إزاء إزالة القيود الاجتماعية ؟

وولر : لأن هذه القيود تبدأ عندما يولد الطفل . أن جميع اتجاهات الثقافة الحديثة بعيدة عن الفكرة الفكتورية . فانك أنت ، انما هو أنت ، بحكم المولد . المفروض أن تكون ما أنت بمقتضى قدراتك . ومع ذلك فانه عندما يولد الطفل ، سواء اكان ولدا أم بنتا ، فان الشعور الذي ينمو توا بين أفراد العائلة هو أن هنالك مهمات وأساليب معينة ، يستطيع أن يتبعها الرجل ، ولا تستطيع أن تتبعها المرأة . هذا الموقف انتقل إلى المدرسة والجامعة . لقد كنت أقرأ وأترقب حديثنا اليوم ، فيم نلقن شطرا من جمعيتنا في معاهد النساء . نحن لا نعلم النساء ليكن باحثات وراء الحقيقة . اننا نعلمهن ليكن نساء .

بريزون : الا يعلمون الرجال ليكونوا رجالا .

وولر : انهم يعلمون الرجال ليكونوا آدميين . ليس هنالك ترويض للرجال في المدارس أو الكليات يكرر لهم القول « أنت

رجل ، ومن ثمّة ، فينبغي عليك أن تعرف ذلك » .
« أنت آدمي » . ها هو ذا المجال الأوسع للمعرفة
الانسانية : أن تبحث عن الحقيقة . لكن انظر نظرة الى
برامج تعليم النساء ، فتري الجهود موجهة للناحية
النسائية دائما وفي كل وقت . « يجب أن تتبعى هذا
النمط الخاص لأنك امرأة » . أظن أنه من الاسراف أن
نشوه ما في شبابنا من تماسك طبيعي ، ونشيدان لما هو
خير وما هو حق ، عن طريق التمييز بين الجنسين .

بريزون :

تعنين يا مسز وولر أن مل لو كان اليوم حيا ، لما شقى
فقط لأنه لا يمكنه أن يسعد الا اذا أصلح بأية صورة ،
وانما كان يشقى أيضا لأن الاصلاحات التي تمت قد
طبقت ولكن لم تأت بثمرة . لقد زالت القيود القانونية
ولكن لسبب أو لآخر - ربما يرجع ذلك الى الجملة التي
تقرئنها - ان النساء ما زلن عائشات في ظل القيود .

سميث :

يساورنى شك يقلقنى كثيرا يا مسز وولر ، ينحصر فى أن
السبب الذى من أجله لم يؤد الغاء القوانين المجحفة
بالنساء الى مساواة النساء بالرجال فى الفرص ، هو أن
النساء لا يردن ذلك النوع من الحرية الذى اراده
لهن مل .

وولر :

لا أظن ذلك صحيحا يا مستر سميث ، ولا أظن أنك تقول
أن الأمر كذلك لأنهن لم ينلن الحرية قط . فكيف يعرفن
ما اذا كن يرغبن أو لا يرغبن فيها ؟

بريزون :

اتعنين انهن قد علمن الا ينشدنها ؟

وولر :

أى نعم .

بريزون :

أعن طريق الرجال ؟

وولر :

أى نعم .

بريزون :

كلا ، عن طريق أمهاتهن .

- وولر : حسن ، بل عن طريق مجتمعهم ، الذى ربيهن .
- بريزون : لماذا تكون الأمهات هن بلا استثناء الطريق الى هذا الوضع الاجتماعى الشائن الذى يفرضه المجتمع على النساء ؟
- ان الام اولا و أخيرا ، هى التى تشوه العلاقة بين الجنسين فى عهد الطفولة .
- وولر : ذلك لأن علاقتها بزوجها شهواء ، ملتوية ، من وجهة نظر مل .
- بريزون : اذن فالمشكلة ليست قانونية ؟
- وولر : كلا .
- بريزون : ما هى اذن ؟
- وولر : انها مشكلة اجتماعية . مشكلة تربوية .
- بريزون : وهل تظن أن مل كان مصيبا عندما قال أنها مبينة أصلا على القوة ؟
- وولر : لا أعرف . وأظن أن هذه فكرة تدعو الى كثير من الألفاظ ، وهى كذلك فكرة يكون من الشيق جدا أن نستقصى بحثها الآن بجميع صورها . فمثلا ، أستنتج من مل أنه يعتقد أن كثيرا من التحامل الجنسى مبنى على الشعور القائم فى نفس رجل بأنه أفضل من شخص آخر ، وعلى عدم قدرته على الحياة معه باعتباره مساويا له . غير أن هنالك شيئا آخر يقلقنى أكثر . وانى لأسألك : ان لم يكن الأطفال قد ربوا على هذه الفكرة منذ يوم ولادتهم . ذلك بأن الأم مع أنها لم تعط الفرصة لتنمية شخصيتها كفرد ، وقوتها الفكرية كإنسان ، فان تحت تصرفها عقولا جديدة تشكلها وتجبها ، وانى لأجزم أن ما تشعر به كثيرا من خيبة الرجاء تنعكس صورته فى أخلاق هؤلاء البنساء .

سميث : اعتقد أن ذلك حق بوصفه واقعا مألوفاً ، ولكن النساء

في جميع أنحاء العالم ، وفي جميع العصور ، ومهما كان السبب ، كن في المحل الثاني بالنسبة للرجال ، ليس دائما بالنسبة لأزواجهن ، بل كذلك بالنسبة للأعضاء الذكور في أسرتهن إذا كانت لهن ممتلكات ويحتمل أن يكون هنالك سبب أعمق من هذا الذي اهتدى اليه ادراك مل نفسه لاستمرار هذه الحالة برغم كل ما يصنع لعلاجها . ان ذلك لشبيه ببطل احدى القصائد الشعرية الانجليزية القديمة - قطعت ساقاه ، فظل يحارب على جداميره .

بريزون : ان التحامل لكثير الشبه جداً بذلك الجندي الانجليزي القديم الذي ضمير نصفه الأسفل كما تقول .

سميث : اعتقد يا مسز وولر بأن أكثر النساء انما يعتبرن حمل الطفل وتربيته أمراً أجدر بالاقدام عليه في الحياة الخلقة ، عن تحقيق جميع الأشياء التي توحى بها عبارة « المساواة الشرعية » .

وولر : ولكنها تستطيع بمنتهى البساطة أن تفعل الأمرين يا مستر سميث . لقد كانت لها القدرة على تنمية شخصيتها في ناحية ، ولم يكن لها القدرة مطلقاً على تنميتها في مجالات أخرى .

بريزون : لنبحث الآن بهدوء وجهة نظرك الجريئة يا مسز وولر - وأقول ذلك بشيء من الحرج علماً منى بأنك قد حققت الأمرين ، وأن لك طفلين لا ينقصهما عناية الأم في أي شيء يحتاج اليه الأطفال : أهما من نفس الجنس ؟

وولر : أي نعم ، فهما ولدان .

سميث : هل سوف يعاملان النساء معاملة حسنة ؟

وولر : علينا أن ننتظر ونرى ذلك .

بريزون

: لكن ، الا يثير المستر سميث سؤالا ينبغي أن يواجهه حتى ولو كان من المحتمل اغفاله ، كما أغفلته أنت ؟ مما لاشك فيه أن هنالك امرين لا يمكن أن يغيرهما أى تشريع . أحدهما يتعلق بتقسيم العمل القائم على أساس من علم الأحياء ، الذى يعود رأسا الى أقدم العصور البدائية . كان ينبغي على النساء أن يمكن من حول المنزل لرعاية الأطفال . وكان الرجال يذهبون للصيد والقتال ، ولم يكن هذا بطريق الاختيار ، ولو أنهم اختاروا ذلك . أما الأمر الآخر فالقيود الاقتصادية ، ذلك بأن نسبة كبيرة جدا من النساء فى العالم اليوم ، لا تمتلك مالا كافيا تنفقه على من يقوم بالعناية بالأطفال الصغار ، حتى يتمكن من أداء عملهن فى مهنة ما . كيف تعالجين اذن هذين الأمرين؟

وولر

: نحن نعيش فى عصر التخصص التام . كلما تحققت من عدم قدرة الأمهات الصغار وعدم قدرتى بعض الأحيان على حل مشكلاتى بنجاح - لا لشيء الا لأنى لم أتدرب تدريباً كافياً - فانى أعجب ، لم تكون أهم الوظائف جميعاً، وهى تربية الأطفال الصغار ، متروكة بين أيدي مثل اولاء الهاويات القاسيات . انا متخصصون فى كل شيء آخر .
: لأننا نعتقد أن المحبة أكثر أهمية من الكفاءة .

سميث

وولر

: ولكن الأمر يتعلق بشيء أكثر من المحبة . ان أية أم شابة ومعها طفلان أو ثلاثة لتعتنى بهم أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، انما تفقد أعصابها بعض الأحيان ، وتتصرف كبائعة سمك ، وتحنو عليهم أحياناً أخرى بافراط بالغ ، لأنها تبغى أن تستعوض بذلك شيئاً فى مجال لم يكتمل عندها اكتمالاً تاماً . وأرى أنه ينبغي علينا أن ننهج طريقاً أفضل فى تربية الأولاد ، عما نتبع اليوم .

- سميث : كيف ذلك ؟
- وولر : ينبغي أن تعطى الأم فرصة قبل الزواج ، لتنمي نفسها بطريقة لا تجعلها في حاجة الى أن تمنع في طلب التعويض بافراط ، أو تكون عطوفة أكثر مما ينبغي ، أو تفسد فطرتها تماما بأن تظل حبيسة المطبخ . وينبغي من ناحية أخرى أن يوضع الأطفال في دور حضانة نهائية حتى تستطيع الأمهات التفرغ لشئونهن ساعات قليلة على الأقل .
- بريزون : الا يلزم هذا الوضع ، مع ذلك ، بعض النساء أن يكن خادمت ومربيات ؟
- وولر : ولكن متخصصات . ان العناية بالأطفال الصغار ، أو العمل مدرسة في مدرسة حضانة ، انما يبدو مثيرا للغاية ، بل أكثر الأشياء إثارة في العالم .
- سميث : مما لاشك فيه أن ذلك قد يبدو عملا مثيرا جدا .
- بريزون : لى أن أقول انه قد يكون مخيفا في بعض الحالات .
- سميث : ومع ذلك اعتنق مل وجهة النظر القائلة بأنك لا تستطيع أن تحصل على أى نوع من انواع العدل حتى تحصل على العدل القانونى . ولقد حاول أن يحقق العدل القانونى عن طريق مساواتها بالرجل . ولقد حصل عليه فعلا . والآن نستطيع أن نعالج بأية طريقة نواحى القصور التى لم تنزل قائمة .
- بريزون : انه لحقيقة واقعة ، أن لدينا في هذه البلاد أشياء كثيرة كان يملكها مل كثيرا ، فان مل كما تعرف ، وخاصة في رسالته عن الحرية ، انما كان يخشى كثيرا ما نسميه الآن الدولة الاشتراكية ، بالرغم من أنه كان يوجد دول اشتراكية قبل ذلك من غير تصويت النساء في الانتخابات،

فانى لا اظن أن أحدا يشك فى أن اشتراك النساء السياسى فى تقرير مصيرنا الآن ، كان قوة من أكبر القوى التى أبرزت الدولة الاشتراكية ، وهى التى خشيها ، لأنه كان يرى أنها سوف تقضى على الأخلاق .

وولر

: بقى موضوع واحد يتعلق بالنساء . فانه يبدو لى أنه ربما لا يوجد شيء يستطيع أن يفعله الرجل ، غير قيادة فرقة سيمفونية ، يمكن أن يقارن بالسرور والرضا اللذين يساوران المرأة نتيجة لحملها وتربيتها للطفل . وربما يكون ذلك كله مؤامرة ضد النساء ، لتمنع الرجال من الشعور الجارف بأنهم أدنى مرتبة .

سميث

: اظن أننا سوف نتغلب على أى شعور بالنقص عندنا .
: هل تظنين يا مسز وولر أن ما انتحل الرجال من الاستعلاء على مر العصور — وذلك ما علمته من النساء — ذلك الاستعلاء الموصوف بالصلاف والعجرفة ، إنما هو فى الواقع تعبير عن خوفهم من أنهم لم يبلغوا من ذلك المبلغ المنشود ؟

بريزون

وولر

: كلا ثم كلا ، ان الفنون النسائية هى التى تجعلهم لا يشعرون بالنقص الشنيع ، ذلك بأن الرجال من الناحية الاحيائية إنما هم بالغو النقص ، حتى لقد انبغى على النساء أن يخلقوا كل هذه الفلسفة الفكرية كى لا يشعرهم بنقصهم البالغ .

بريزون

: ماذا سوف يحدث اذن عندما تسيطر النساء على المهن ، والأعمال والشئون العامة والتعليم . وهذا مما لاشك فيه مستقبلا ، ومع ذلك سوف يحتفظن بكونهن النصف المختار من الجنس البشرى ، الذى يستطيع أن ينجب أطفالا ؟

وولر : يحتفل أن يكون ذلك حافزا للرجال على تنمية أفضل ما يتصفون به من قدرات فكرية ، حتى يعيدوا الأمور الى نصابها ، ويضعوا النساء في النهاية في الوضع المناسب لهن .

بريزون : أى شىء هذا ؟

وولر : سوف ننتظر ونرى .

بريزون : تخيلت لحظة أنك كنت تعين أن وضعهن المناسب - على أية حال - هو الأدنى .

وولر : ان ذلك مجرد أمر يتعلق بالمساواة ، وهو ما يثيره مل مرارا وتكرارا أن الناس يجب أن يكونوا ما يستطيعون ، عن طريق قدراتهم ، ولا يتسرع أحد في الحكم عليهم .

بريزون : وأعتقد أنه انصافا لم ينبغي لنا أن نعترف بأنه كان أول من قال بذلك ، ولو أن المساواة القانونية كانت ضرورية ، فإن المساواة القانونية لم تحل المشكلة كلها .

هذا الكتاب

للمرأة في هذه المجموعة حصة الأسد ، لأنها تشتمل على رسائل مدام سيقيني ، وقصة شارلوت برونتي ، وسيرة الملكة فكتوريا ، وشخصية هيدا جابلر أشهر بطلات الكاتب النرويجي هنريك ابسن الذي تخصص في مسرحياته لدراسة الشخصيات النسوية ، وختامها بحث في كتاب الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت مل عن حقوق النساء في القانون وفي الدستور .

واختصاص المرأة بالقسط الاوفر في موضوعات هذه المجموعة لا يمنع ان تكون على المؤلف منها منوعة متعددة الجوانب باكثر من معنى واحد ، لان تعدد جوانبها قد يتناول الكتاب ومواطنهم كما يتناول الكتب وموضوعاتها .

ففيها تعليق على ادب الرسالة ، وتعليق على ادب القصة وتعليق على ادب المسرحية ، وفيها عدا ذلك المام بالسيرة التاريخية والمام بمباحث الاجتماع وحقوق الانسان ومن مؤلفيها كاتبة فرنسية ، واديبه ارلندية ، وروائي نرويجي ، ومؤرخ وفيلسوف انجليزي .

من تقديم

عباس محمود العقاد

طبعة مصر
سنة ١٩٦١

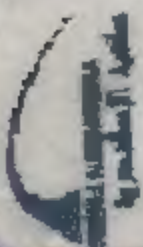


الثن ١٨ قرشا

Bibliotheca Alexandrina



0361474



892

7

52